الفصل الأول

ركن الدين : نشأته وحياته وآثاره

المبحث الأول: نشأته وحياته:

أ - اسمه ونسبه:

هو السيّد أبو الفضائل ركنُ الدين، أبو علي الحسن بن أحمد [1] ابن شرفشاه [2] العلويّ [3] الحُسَيْنيّ [4] الأسترابادي [5].

تلك هي رواية العاملي، وقد اخترتُها من بين الروايات الكثيرة، وهي مع كثرتها نراها تأتلف حينًا وتختلف أحيانًا؛ فتارة تقف عند الأب، وأخرى تقف عند الجدّ الأوّل، وثالثة تقف عند الثاني من الأجداد، وهي بين هذه وتلك تضطرب اضطرابًا شديدًا، ولا تكاد تستقرّ على حال حتى تفجأنا باختلاف يسير أو كثير في صيغ الأسماء وفي الكُنى والألقاب إلى آخر ما هنالك من خلاف.

1- أبو علي، وأحمد: من معجم الأدباء (٨/٥). وفي أعيان الشيعة (أبو محمد، ومحمد).

2 - وقيل: شرف الدين شاه. وهو لقب جده الأدنى (علي بن الحسين).

3 - نسبة إلى جده الأدنى (علي).

4 - نسبة إلى جده الأعلى (الحسين).

5 - أعيان الشيعة، للعاملي: ٢٣/١٤١.

والآن – وبعد هذا الإيجاز – آن لنا أن نُدلِفَ إلى بيان الروايات حسب الترتيب الزمني .

اضطراب الروايات في زاوية الأسماء وما يتعلق بها من الكُنَى والألقاب :

١ – فياقوت الحمويّ (ت ٦٢٦هـ) – وهو أقرب المؤرخين زمنًا إلى ركن الدين ، بل عاصره في فترة من حياته ، كما سنحقق ذلك عند تحقيقنا للسنة التي ولد فيها ركن الدين – إن شاء الله تعالى – أقول : إنّ ياقوت لا يذكر إلا الكنية ، ويأتي باسم الرجل واسم والده ، ثم ينسبه إلى بلده أستراباذ ، فيقول في معجم الأدباء [1] : "الحسن بن أحمد الأستراباذيُّ (أبو علي) " .

وسلك مسلكه السيوطيُّ (ت ٩١١هـ) [2] ، وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) [3] .

وحذا حَذْوَ هؤلاءِ من المحدثين عمر رضا كحَّالة في كتابه (معجم المؤلفين) [4] .

ويلاحظ أن هؤلاء جميعًا لم يذكروا اللقب وهو (ركن الدين) ، غير أننا رأينا حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في موضع آخر من كشف الظنون [5] يصرّح بذكر اللقب ، ليس هذا فحسب ، بل وجدنا الأب عنده اسمه (محمد) وليس (أحمد) ، يقول : "مرآة الشفاء ، في

---

1 - ٨/٥ .

2 – ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ٢/٢١٨ ، ط السعادة بمصر / ط أولى / سنة ١٣٢٦هـ .

3 – ينظر : كشف الظنون ، ص ١٢٧٣ . ويلاحظ أنه ذكر (حسن) مجرّدًا من (ال) .

4 – ينظر : ٣/١٩٦ .

5 – ص ١٦٤٨ .

الطب ، للفاضل ركن الدين الأستراباذيّ ، الحسن بن محمد [1] وهو في النقل الثاني يحذو حذو بعض المتقدّمين مما سنذكرهم الآن .

٢ – كل أولئك قد وقفوا عند الحلقة الأولى في سلسلة النسب ، فلم يذكروا الجد الأول لركن الدين ، على حين نرى تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) ، وهو قريب عهد بركن الدين يطفر طفرة تقف به عند الجد الثالث ، فيقول : " الحسن بن شرف شاه ، السيد ركن الدين أبو محمد ، العلوي الحسيني الأستراباذي [2] ؛ حيث صرّح بنسبته إلى الجدّ الأول (علي) ، وثنى بالجد الثاني وهو (حسين) ، ولم يرد ذكر الجد الثالث . فقوله "العلوي" : نسبة إلى جدّه الأول (علي) ، وقوله : "الحسيني" : نسبة إلى جدّه الثاني (الحسين) .

وممائله مسلك المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، غير أنه قدّم ذكر (الحسيني) على (العلوي) ، وأتى بلفظة (الدين) بين جزأي لقب الجدّ الأول ، فقال : " السيد الإمام العلامة ركن الدين ، أبو محمد الحسن بن شرف الدين شاه الحسينيّ العلويّ الأستراباذيّ . [3]

وممائله أيضًا مسلك ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، غير أنه اكتفى بذكر لقب الجدّ الأول ولم يصرّح باسمه ، وكذلك لم يذكر كتب المترجم له ؛ يقول : " الحسن بن شرف شاه الحسيني

---

1 – المصدر السابق .

2 – طبقات الشافعية الكبرى : ٩ / ٤٠٧ – ط الحلبي – ط . أولى ١٣٨٤هـ .

3 – السلوك لمعرفة دولة الملوك : ٢ / ١٥٨ – ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤١م .

الأستراباذي، ركن الدين[1] .

ويلاحظ أنّ السبكي (ت ٧٧١هـ) ، والمقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) قد أسقطوا الأب وهو (أحمد) ، ولعلهم لم يعمدوا إلى الإسقاط، وإنما جنحوا إلى الإيجاز في سلسلة النسب، كما يحدث في كثير من الأحيان قديماً وحديثاً ثم جاء ابن العماد الحنبلي بعد ابن حجر بما يقرب من قرنين ونصف القرن (ت ١٠٨٩هـ) فاقتفى أثره وحذا حذوه، في أحد قوله[2] ، غير أنه هاهنا جرّد الحسن من (أل) .

٣ – أما المجموعة الثالثة من الروايات النسبية فهي تختلف عمّا سبقها من روايات في اسم والد ركن الدين؛ حيث صرّحت بأنّ اسمه (محمد) بدلاً من (أحمد) ؛ يقول ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) : "الشيخ الإمام العلامة السيد ركن الدين حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي[3] .

ويلاحظ أنه قد أسقط الكنية (أبا علي) ، وأيضاً جرّد الحسن من (ال) .

وقد حذا حذوه جماعة من المتأخرين، هم: حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ، كما ذكرنا، وابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩ هـ) في القول الآخر[4] . وإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)[5]

---

1 – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٢/ ١٦ – ط . حيدر آباد سنة ١٣٤٩هـ .

2 – ينظر: شذرات الذهب: ٦/ ٣٥ (تحت وفيات سنة ٧١٥هـ) .

3 – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٩/ ٢٣١ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب – أحداث سنة ٧١٥ .

4 – ينظر: شذرات الذهب: وفيات سنة ٧١٨هـ .

5 – ينظر: هدية العارفين: ١/ ٢٨٣، ط ١ – إستانبول سنة ١٣٨٧هـ .

والزركلي (ت ١٣٩٠هـ)[1] ؛ حيث جاء اسم الوالد عندهم (محمدًا) بدلاً من (أحمد) .

ليس هذا فحسب ، بل وجدنا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) يضيف لقبًا أمام الوالد محمد ؛ حيث يقول : " ركن الدين ، الحسن بن رضي الدين محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي الشافعي"[2] .

هذه زاوية من زوايا اضطراب الروايات في اسم ركن الدين ونسبه تمخضت عن تقسيمها ابتداءً إلى مجموعات ثلاث ، بعد أن انتهجنا فيها المنهج التاريخي ، وسنتناول بقية الزوايا بالمقارنة والتحليل بعد أن نفرغ من متعلقات هذه الزاوية التي تتصل بأسماء الآباء ؛ أعني اسم الوالد :

أحمد هو أم محمد ؟

جاء في سلسلة النسب – كما رأينا – تارة لفظ (أحمد) ، وأخرى لفظ (محمد) ، وذلك في اسم والد ركن الدين ، وثالثة أسقط ذكره ، فأيهما هو الصحيح ؟

وأبادر فأقول : إنّ والد ركن الدين هو (أحمد) ، فيما أرجّح ، فإن قيل ما السبيل إلى هذا الترجيح ؟ قلنا إن أول من ترجم لركن الدين هو ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، وقد عاصره حيث ترجم له في حياته ، ثم توفي ياقوت وعمّر ركنُ الدين بعدَه إلى أن توفي سنة ٧١٥هـ ، ولا يستبعد أن يكونا قد تقابلا في الفترة التي تعاصرا فيها ، ولا شك أن ترجمة المعاصر لمعاصره أكثر ضبطًا وتأكيدًا من ترجمة المتأخرين .

---

1 – ينظر : الأعلام : ٢/ ٢١٥ ، دار العلم للملايين . بيروت / لبنان / ط . سابعة ، سنة ١٩٨٦م .

2 – هدية العارفين : ١/ ٢٨٣ .

وجاء السبكي (ت ٧٧١هـ) بعد وفاة ركن الدين بقليل، فلم يذكر والد ركن الدين، لعله لم يقف على اسمه، أو ربما يكون قد أسقطه اختصارًا، ثم جاء بعده بقليل المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) فحذا حذوه ولم يذكره، وهذا عين ما فعله ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) الذي عاصر المقريزي.

لكنا وجدنا ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) الذي عاصر ابن حجر والمقريزي يعزّ عليه أن يسقط الوالد من بسلسلة النسب فأتى بلفظة (محمد) ربما لم يطلع على معجم الأدباء وما ذكره فيه ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، وربما جاء بهذا الاسم من مصدر مشكوك فيه.

ثم جاء حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) وتابع ابن تَغْرِي بَرْدِي في ذلك في أحد قوليه – كما ذكرنا – وأيضًا حَذَا حَذْوَ ابنِ تَغْرِي بَرْدِي: ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) وإسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، وخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٠هـ).

ولكنّ السيوطيّ (ت ٩١١هـ) يأتي بعد ياقوت (ت ٦٢٦هـ) بنحو ثلاثة قرون لكي يتبنى ما قاله ياقوت ويصرّح بأن والد ركن الدين اسمه (أحمد)، يقول: "الحسن بن أحمد الأسترابادي أبو علي اللغوي الأديب، الفاضل، أوحد زمانه، شرح الفصيح والحماسة. قاله ياقوت"[1].

ويَحْذُو حَذْوَ السيوطيّ في ذلك حاجي خليفة في القول الآخر، وكذلك كحّالة في معجم المؤلفين[2]، الذي يحيل من أراد الوقوف على ترجمة ركن الدين إلى معجم الأدباء.

---

1 – بغية الوعاة: ٢/٢١٨.

2 – ٣/١٩٦.

ب - ألقابه:

وردت في ترجمة صاحبنا الحسن الأستراباذي التي تناولها كثير من كتب التراجم ألقابٌ عِدَّة ارتبطت جميعها به وعرف بها وقد أطلقت عليه إما للدلالة على مسقط رأسه وإما للإحاطة بمذهبه الديني، كما أن منها ما كان للدلالة على مكانته العلمية، أو ما كان يطلق في عصره تيمُّنًا وتفاؤلاً، كما أن منها ما كان للدلالة على سلسلة نسبه، وها هي ألقابه التي وقفت عليها.

- ركن الدين:

وهذا اللقب أثبتَه كثيرٌ من كتب التراجم؛ حيث أثبته السبكي (ت ٧٧١هـ) [1] والمقريزي (ت ٨٤٥هـ) [2]، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) [3]، وابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) [4] وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) [5]، وابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) [6]، وإسماعيل البغدادي

---

1 - ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٩/ ٤٠٧.

2 - ينظر السلوك: ٢/ ١٥٨.

3 - ينظر: الدرر الكامنة: ٢/ ١٦.

4 - ينظر: النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣١.

5 - ينظر: كشف الظنون ص ١٦٤٨.

6 - ينظر: شذرات الذهب: ٦/ ٣٥.

(ت ١٣٣٩هـ)[1]، والزركلي (ت ١٣٩٠هـ)[2].

وقد حذا حذو هؤلاء من المعاصرين في إثبات هذا اللقب كلّ من العاملي[3] وبروكلمان[4] وآلورد[5].

ولعلّ هذا اللقب من الألقاب التي كانت تطلق على أصحابها تيمّنًا وتفاؤلاً شأنها شأن ألقاب أخرى كبدر الدين وشمس الدين وجمال الدين وكمال الدين وعلم الدين وزين الدين وهكذا.

- **السيد:**

وهذا اللقب أثبته السبكي[6] وتابعه في ذلك المقريزيّ[7] ثم ابن تَغْرِي بَرْدِي[8]، ثم جاء بعد ذلك ابن العماد[9] ثم العاملي[10] وأثبتوا هذا اللقب.

---

1 - ينظر: هدية العارفين: ١/ ٢٨٣.

2 - ينظر: الأعلام: ٢/ ١٥.

3 - ينظر أعيان الشيعة: ٢٣/ ٧٠، ١٤٠.

4 - ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥/ ٣١٢.

5 - ينظر: فهرس آلورد: ٦/ ٨٠، ٨٣.

6 - ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٩/ ٤٠٧.

7 - ينظر: السلوك: ٢/ ١٥٨.

8 - ينظر: النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣١.

9 - ينظر: الشذرات: ٦/ ٣٥.

10 - ينظر: أعيان الشيعة: ٢٣/ ١٤١.

- العَلَوِيّ:

نسبة إلى جدّه الأدنى علي بن الحسين الشيعيّ، الملقّب بشرف الدين شاه [1].

وهذا اللقب أثبته السبكي [2]، وتابعه المقريزي [3]، وأثبته من المحدثين العامليّ في أعيان الشيعة [4].

- الحسيني:

وهذا اللقب نسبة إلى جدّه الأعلى الحسين الأسترابادي.

وهذا اللقب أثبته المؤرخون الثلاثة الذين أثبتوا لقب (العَلَوِيّ) في الفقرة السابقة، يضاف إليهم ابن تغري بردي [5]، وابن العماد [6]، وإسماعيل البغدادي [7]. وخير الدين الزركلي [8]

-الأسترابادي:

---

1 - ينظر ترجمته في: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للطهراني: ١/ ٤٦. ط المغربي/النجف ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

2 - ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٩/ ٢٣١.

3 - ينظر: السلوك: ٢/ ١٥٨.

4 - ٢٣/ ١٤١.

5 - ينظر: النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣١.

6 - ينظر: الشذرات: ٦/ ٣٥.

7 - ينظر: هدية العارفين: ١/ ٢٨٣.

8 - نظر: الأعلام: ٢/ ٢١٥.

وهذا اللقب نسبه إلى بلدته ومسقط رأسه (أستراباذ) . وسوف نفرد لها حديثًا يَخُصُّها .

- **الشافعيّ:**

وهذا اللقب نسبه إلى مذهبه الفقهي، وقد صرح به إسماعيل البغدادي في هدية العارفين[1].

ج- كنيته:

يكنى ركن الدين بثلاث من الكُنَى، هي: أبو الفضائل، أبو علي، أبو محمد، وذلك على النحو التالي:

- **أبو الفضائل:**

وهذه الكنية تدل على مكانة ركن الدين العلمية وأنه جمع الكثير من الفضائل؛ فهو إمام متقدم علامة في علوم اللغة والأدب، وأيضًا علامة في العلوم العقلية والنقلية، وغيرها .

وهذه الكنية أثبتها العاملي في أعيان الشيعة[2]، وجاءت أيضًا في فهرس دار الكتب[3] عند الحديث عن شرح الشافية لركن الدين؛ حيث جاء ما نصُّه: "شرح الشافية، لأبي الفضائل ركن الدين الحسن بن محمد بن شرف شاه العلويّ الأستراباذيّ سنة ٧١٥ هـ".

- **أبو علي:**

1- ينظر: هدية العارفين: ١/ ٢٨٣ .

2- ينظر: ٢٣/ ١٤١ .

3- حرف (ش) .

وهـذه الكنية أثبتها ياقوت[1]، وتابعه في ذلك الإمام السيوطيّ[2] وحاجي خليفة[3]، وعمر رضا كحّالة[4]. وهـذه من الكنى التي تطلق تيمّنًا وتفاؤلاً؛ كأن يقال لمن اسمه إبراهيم (أبو خليل) ولمن اسمه يعقوب (أبو يوسف) ولمن اسمه عمر (أبو حفص) وهكذا.

- أبو محمد:

وهـذه الكنيـة أطلقها السبكي في ترجمة ركن الدين[5]. وتابعـه المقريزي[6]، ثم ابن العماد[7]. ولعلّه كان يكنى باسم ابنه الأكبر، كما يحدث في كلّ العصور أن يكنى الشخص باسـم ابنه الأكبر، هـذا ترجيح فقط؛ لأنه لم يَرِدْ نصٌّ عمّن ترجموا له يقطع بذلك، ولم تذكر كتب التراجم التي ترجمت له شيئًا عن أبنائه.

وبناء على ما تقدّم من ذكر اسم صاحبنا ركن الدين ونسبه وألقابه وكناه يمكننا - على وجه من الاطمئنان - أن نذكر اسمه كاملاً شاملاً لكلّ ما سقناه بعد تمحيصه وتجريده؛ فنقول،

---

1 - ينظر: معجم الأدباء: ٨/ ٥.

2 - ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ٢١٨.

3 - ينظر: كشف الظنون، ص ١٢٧٣.

4 - ينظر: معجم المؤلفين: ٣/ ١٩٦.

5 - ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٩/ ٤٠٧.

6 - ينظر: السلوك: ٢/ ١٥٨.

7 - ينظر: شذرات الذهب (وفيات سنة ٧١٨هـ).

هـو:

السيد أبو الفضائل ركن الدين أبو علي - وقيل: أبو محمد - الحسن بن أحمد بن شرف الدين شاه علي بن الحسين الأستراباذيّ الشافعيّ.

د - أسرته:

لم تذكر لنا كتب التراجم التي ترجمت لركن الدين شيئًا عن والده ويبدو أن والده لم يكن من ذوي الجاه والسلطان والمكانة العلمية المرموقة ليُذكَرَ وتتناوله الكتبُ؛ بدليل أنّ المؤرخين الذين أوردوه قد اختلفوا حوله؛ فبعضهم ذكره (أحمد)، وبعضهم محمدًا كما ذكرنا.

ولم يَرِد ذكرٌ أيضًا بشأن أولاده، غير أنّ بعض المؤرخين أثبت من كُناه أبا محمد ورجّحنا أنه اسم واحد من أولاده.

أما عن جدّه الأدنى فهو: شرف الدين عليّ بن الحسن الأستراباذيّ[1]؛ جاء في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة[2] للشيخ أغا بزرك الطهراني (ت ١٣١٢هـ) ما نصُّه: "الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة، للشيخ شرف الدين بن علي النجفي، كما ذكره في أمل الآمل، يأتي بعنوان: تأويل الآيات الطاهرة، وأنه للسيد شرف الدين علي الحسينيّ الأستراباذيّ".

والسيد شرف الدين هذا كان شيعيًا، وله مؤلفات أخرى في المذهب الشيعيّ كما تذكر كتب

---

1 - ينظر في ترجمته: الذريعة: ١/١٤٣.

2 - جـ١/٤٦.

التراجم التي تترجم لأعيان الشيعة، مثل أعيان الشيعة للعامليّ والذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهرانيّ، وغيرهما .

أمّا عن جدّه الأعلى (الحسين) فلم نقف على شيء من أخباره غير ما جاء من إثبات كتب التراجم لاسمه والنصّ على نسبة ركن الدين إليه؛ وذلك بإثباتها لقب (الحسيني) ضمن سلسلة النسبة.

هـ - ميلاده:

إنّ كتب التراجم التي بين أيدينا والتي ترجمت لركن الدين لا تحدثنا عن السنة التي ولد فيها، غير ما جاء في بعضها على سبيل التلميح لا التصريح . أقول: إنّ كتب التراجم يمكن تصنيفها بالنسبة إلى موقفها من ميلاد ركن الدين إلى ما يلي:

(أ) بعضها لم يتعرض لميلاده، لا بالتصريح ولا بالتلميح، وذلك هو القسم الأكبر.

(ب) بعضها تتعرض له بالتلميح دون التصريح؛ بأن تذكر تاريخ الوفاة ثم تذكر عمر ركن الدين حين الوفاة، فكأنه أعطانا تاريخ الميلاد وإن لم يأت به صريحًا، مع العلم بأنّ ثمة اختلافًا كبيرًا في ذلك بين هؤلاء المؤرخين.

(جـ) بعضها الآخر ورد به تصريحٌ بتاريخ الميلاد، وذلك في القليل النادر.

وإليك البيان مع اضطراب أقوال المؤرخين:

أما القسم الأول الذي لم يتعرض لميلاده إطلاقًا، لا بالتصريح ولا بالتلميح، فمنهم: ابن

تَغْرِي بَرْدِي، وحاجي خليفة، وإسماعيل البغدادي والعاملي، وعمر كحّالة.

وأما القسم الثاني، ذلك الذي ذكر تاريخ الميلاد بالتلميح، فإليك بيان ما جاء فيه:

١- ذكر السبكي (ت ٧٧١ هـ) في طبقات الشافعية الكبرى أنّ ركن الدين توفّي سنة ٧١٥ هـ عن سبعين سنة[1]. وتابعه في ذلك المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في كتابه السلوك[2]، ثم ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في الدرر الكامنة[3]. فعلى هذا يكون ميلاد ركن الدين سنة ٦٤٥ هـ.

٢- ذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) نقلاً عن صلاح الدين الصفَدِيّ (ت ٧٦٤ هـ) أن ركن الدين عاش بضعًا وسبعين سنة. وهذا يعني أنه ولد قبل سنة ٦٤٥ هـ.

٣- وذكر العيني في عِقد الجُمان أن ركن الدين قد بلغ الثمانين ويعني ما قاله العيني أن ركن الدين ولد سنة (٦٣٥ هـ).

٤- ويضطرب ابن قاضي شهبة (٨٥١هـ)؛ حيث يذكر أنه توفّي بالمَوْصِل في المحرّم سنة ٧١٥ هـ، أو ٧١٨ هـ، عن نَيِّفٍ وسبعين سنة، أو أنه جاوز الثمانين"[4]

1- ينظر: ٩/٧ ..

2- ينظر: ٢/١٥٨.

3- ينظر: ٢/١٧.

4- ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص

وعلى ما قاله ابن قاضي شهبة يكون ركن الدين قد ولد سنة ٦٣٥ هـ، على رأي أو ما بين هذا التاريخ و ٦٤٥ هـ على الرأي الآخر.

٥- وقد اضطرب أيضًا ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) في حديثه عن السنة التي توفّي فيها ركن الدين، حيث إنه قد ترجم له تحت حوادث سنة ٧١٥ هـ، ثم عاد فترجم له تحت أحداث سنة ٧١٨ هـ، ولم يذكر شيئًا عن مولده ولا عن عمره الذي عاشه، غير أنه صرّح بأنه قد شاخ[1]. وهذه الشيخوخة تبدأ بعد الثمانين إلى ما لا نهاية.

وأما القسم الثالث فنراه يصرح بالسنة التي ولد فيها والسنة التي توفّي فيها، وقد تفرد بهذا الزركليّ في أعلامه؛ حيث يقول وهو بصدد ترجمته: "ابن شرف شاه (٦٤٥ – ٧١٥ هـ): حسن بن محمد بن شرف الحسينيّ الأستراباذيّ ركن الدين[2].

والزركليّ من المحدثين، حيث توفّي سنة ١٣٩٠ هـ، وأراه قد اختار الرأي القائل بأنّ ركن الدين توفي سنة ٧١٥هـ، عن سبعين سنة، ثم قام بعملية حسابية صغيرة، وهي طرح سبعين سنة من تاريخ الوفاة وهو (٧١٥هـ) فكان الحاصل أنه ولد سنة ٦٤٥ هـ.

---

1 - ينظر: شذرات الذهب: ٦ / ٣٥.

2 - الأعلام: ٢ / ٢١٥.

لكن ، وقد اضطربت الروايات التاريخية هكذا ، ما الذي نرجحه بالنسبة إلى السنة التي ولد فيها ركن الدين ؟ .

موقفنا من الروايات السابقة :

أبادر فأقول : إنني لا أتفق مع كل هذه الروايات ، بل أطرحها جميعًا وأرجّح أنّ ركن الدين ولد قبل أسبق تاريخ قيلت بشأن مولده (وهي رواية العيني التي نستخلص منها أنه ولد سنة ٦٣٥ هـ) . أقول أرجّح أنه ولد قبل هذا التاريخ بنحوٍ من ربع قرن . فإن قيل من أين أتيت بهذا التحديد ، وما السبيل إلى هذا الترجيح ؟

قلنا : إن أسبق تاريخ بشأن مولده هي رواية (٦٣٥هـ) ، كما ذكرنا ، ثم تعددت الروايات التي نستخلص من بعضها هذا التاريخ ، ومن بعضها الآخر (٦٤٥هـ) ، وبعضها يتأرجح بين التاريخين فإذا كان الأمر كذلك ورجّحنا واحدة من تلك الروايات التي تبدأ — عن طريق عملية حسابية — بسنة (٦٣٥هـ) وتنتهي بسنة (٦٤٥هـ) فماذا نقول إذا علمنا أنّ ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ قد ترجم لركن الدين موضوع البحث ، حيث جاء في معجم الأدباء (٨ / ٥) ما نصُّه : " الحسن بن أحمد الأسترابادي ، أبو علي : النحوي ، اللغوي ، الأديب ، حَسَنَة طَبَرَسْتَانَ ، وأوحدُ ذلك الزمان ، وله من التصانيف : كتاب شرح الفصيح ، وكتاب شرح الحماسة " .

فإن قيل : قد يكون المراد عند ياقوت شخصًا آخر غير الحسن بن أحمد الأسترابادي موضوع البحث ؟

أقول: إنني وضعتُ هذا الاحتمال أمام عينيّ وذهبت لأستشيرَ كلَّ كتبِ التراجم. وأبحث عن علماء أستراباذ المتقدمين والمتأخرين، الشافعية والشيعة، ممن سبقوا عالمنا بقليل ولهم شرح الحماسة والفصيح، ولكنني بعد جهد جهيد زال ما في نفسي من شكّ وتأكدتُ من أنّ المراد عند ياقوت هو عالمنا المترجم له، وأن ركن الدين هذا قد شرح الفصيح والحماسة وقد نصّت كتب التراجم التي أتت بعد وفاته على أنه شرح هذين الكتابين من بين مؤلفاته، وقد نقل السيوطي (ت ٩١١ هـ) ترجمته عن ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، وجاء كحالة بعد ياقوت بما يقرب من ثمانية قرون لينقل ترجمة ركن الدين عن ياقوت أيضًا ويحيل إلى معجم الأدباء (٥/٨) من بين كتب التراجم التي أشار إليها.

لذا أرى أن ركن الدين قد عاصره ياقوت (ت ٦٢٦هـ) في شطر من حياته، وكان ركن الدين شابًا يافعًا عُرِف عنه النبوغُ المبكر في عصره وطارت شهرته، وأنه قد شرح هذين الكتابين في وقت مبكر من حياته، ربما لا يكون قد بلغ العشرين من عمره آنذاك، وهما أول مصنفاته، وصل ذكره وذكر كتابيه إلى ياقوت فترجم له قبل وفاته، وكان ركن الدين لا يزال شابًا في مقتبل العمر فأثار ذلك إعجاب ياقوت، وقال عنه: "حسنة طَبَرَسْتَان وأوحد ذلك الزمان". ثم تُوُفِّي ياقوت سنة (٦٢٦هـ) وكان ركن الدين لا يزال آنذاك حيًّا، بدليل أن ياقوت لم يذكر تاريخ وفاته ولا حتى مولده.

وأرى كذلك أنّ أصحاب الروايات السابقة الذين حددت تلميحًا سنة ميلاده لم يكونوا قد

اطّلعوا على ترجمة ياقوت له ، وإلا كانوا قد رجّحوا ما رجّحناه .

• ويؤيّد ما رجّحناه أيضًا بشأن ميلاد ركن الدين وأنه كان من المعمرين ما قاله ابن العماد الحنبلي ؛ حيث نصّ على أن ركن الدين ((قد شاخ)) [1] . ومرحلة الشيخوخة – كما نعلم – تبدأ من بعد الخمسين إلى ما لا نهاية [2] ، وليس بغريب في أي زمن أن يعيش المرء (١١٥) عامًا ، أو (١٢٠) عامًا أو نحو ذلك . وعلى هذا يكون ركن الدين قد ولد سنة ٦٠٠هـ ، أو حول هذا التاريخ ، وهذه نتيجة قد سلكنا في إثباتها سبيل الظنّ والترجيح ، وذلك بعد معايشة تامة لكتب التراجم جميعها ، وبعد جهد جهيد في تقصّي أخبار ركن الدين والوقوف على ترجماته .

ومما استرعى انتباهي أثناء تجوالي وتطوافي بين كتب الطبقات أنني وجدت الإمام السيوطي – رحمه الله – ينقل ترجمته لركن الدين عن ياقوت ، ويصرح بذلك عقب الترجمة ، بقوله " قاله ياقوت " [3] ، ثم في موضع آخر يذكر نقلاً عن صلاح الدين الصفدي أن ركن الدين عاش بضعاً وسبعين سنة ، ولم يقف أمام هذه المسألة ليحقّقها ، ولم يلفت انتباهه أنه على ما نقله عن

---

1 – شذرات الذهب : ٦ / ٣٥ .

2 – ذكره صاحب اللسان ، وأضاف : " وقيل : من الخمسين إلى الثمانين " . اللسان / شيخ / ٤ : ٢٣٧٣ .

3 – بغية الوعاة : ١ / ٤٩٩ .

الصفدي يكون قد ولد بعد وفاة ياقوت، فكيف يترجم ياقوت لمن يأتي بعد وفاته ؟ كان من المتوقع أن يحقق السيوطي هذه القضية غير أنه. كما عهدنا عنه. رحمة الله. لا يكلف نفسه في كثير من الأحيان سوى عناء النقل فقط .

و - موطنـــه:

ونقصد بموطنه مسقط رأسه حيث ولد ونشأ وقضى طفولته وصباه حتى شبَّ عن الطوق وبَدَتْ عليه معالم النبوغ والتفوق . وكُتُبُ التراجم التي بين أيدينا والتي ترجمت لركن الدين لا تحدّثنا عن المكان الذي ولد فيه، ولكنا نرجّح أنه ولد في مدينة أَسْتَرَابَاذ. بفتح الهمزة وكسرها [1]. وذلك لإجماع المؤرخين على نسبته إليها .

أستراباذ:

مدينة كبيرة مشهورة أخرجت الكثيرين من أهل العلم في كلّ فنٍ، وهي مدينة في شمال فارس، من أعمال طَبَرِسْتَانَ في بلاد مَازَنْدَران، بين سَارية وجُرْجَان . وتقع بالقرب من الجانب الجنوبي الشرقي من بحر قَزْوِين، وتُبعدُ عن البحر من جهة الشرق ثلاثة وعشرين ميلاً، وهي على ارتفاع ٣٨٠ قدماً على سطح البحر على سفح جبال شاهقة الارتفاع مغطّاة بالغابات الكثيفة، وهي فرع من جبال البرنس، وعلى حافته وادٍ مَتَّسِعٍ تَكْثُرُ المستنقعاتُ في

1- وهذا الضبط لابن الأثير في اللباب (١ / ٥١) . أما ياقوت فيذكر في معجم البلدان (١ / ١٧٤) أنها بفتح الهمزة .

كثير من أرجائه، وتَقِلُّ الزراعة فيه على الرغم من خصوبته، وينتهي بصحراء التُرْكُمان الرملية (قَرَه قُمْ).

ويفسِّرُ البعضُ معنى (أَسْتَرَاباذ) بمدينة النجوم؛ إذ (أستروسـتاره) بمعنى (نجم) في الفارسية. والبعض الآخر يفسِّر معناها بمدينة أو مكان البغال (أستروستر) بالفارسية: البغل؛ إذ يقال إنه لم يسكنها في أول عهدها سوى أصحاب البغال والحمير[1].

ونقل ياقوت عن ابن البنّاء أن (أستراباذ) كَوْرَةٌ بِنَسَا من نواحي خُرَاسَانَ[2].

وقيل: أستراباذ كَوْرَةٌ بالسواد يقال لها كَرْخ مَيْسَان[3].

وقد يطلق عليها: أَسْتَرباد، وستراباذ[4]. واستاراباذ[5]. إلا أنّ الأشهر والأكثر (أستراباذ)[6].

1- ينظر: اللباب (١/ ٥١)، ومعجم البلدان (١/ ١٧٤ - ١٧٥)، ودائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٨٧ - ٨٨)

2- ينظر: معجم البلدان (١/ ١٧٥).

3- ينظر المصدر السابق.

4- ينظر: دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٨٧).

5- ينظر: اللباب (١/ ٥١).

6- ومن مشاهير أهلها: أبو نُعَيم الأستراباذي (ت ٣٢٠ هـ) (ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٣٣٥-٣٣٦ والنجوم الزاهرة: ٣/ ٢٥١). وأبو أحمد عمرو بن أحمد بن محمد بن الحسن الأستراباذي (ت ٣٦٢ هـ) (ترجمته في المصدر السابق (٣/ ٤٦٨ - ٤٦٩). ورضي الدين الأستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) (ترجمته في أعيان الشيعة: ٤٤/ ١٢ - ١٦).

ز- نشأته وحياته العلمية:

إنّ الفترة الأولى من فترات حياة ركن الدين يكتنفها غموض تامّ، بل هي مجهولة تماماً إذ إنّ كتب التراجم لم تذكر شيئاً عن مولده أو نشأته الأولى أو حياته حتى سنة (٦٦٧هـ) وهي السنة التي رحل فيها إلى مراغة بأذربيجان. ويبدو أنه بدأ حياته بدراسة القران الكريم وعلوم اللغة العربية بأستراباذ وبعد أن حصّل كلّ ما يمكن تحصيله في موطنه تاقت نفسه إلى المزيد من العلم فرحل إلى مراغة سنة ٦٦٧هـ، حيث كانت مراغة آنذاك مركزاً هاماً من مراكز العلم والثقافة خاصة بعد سقوط بغداد. وفي مراغة التقى بالعلامة نصير الدين الطوسي وعمل تحت لوائه وتلمذ عليه وصار من أكبر تلاميذه، حتى عيّنه الطوسيُّ معيداً في حلقته، وذلك بعد أنْ حصّل منه علوماً كثيرة[1] يقول ابن رافع في (ذيل تاريخ بغداد): «قدم مراغة، واشتغل على مولانا نصير الدين وكان يتوقد ذكاء وفطنة، وكان المولى قطب الدين حينئذ في ممالك الروم، فقدّمه النصير، وسار رئيس الأصحاب بمراغة، وكان يجيد دروس الحكمة»[2].

وقد كان نصير الدين الطوسي هذا من أبرز علماء المسلمين في عصره في بلاد خُوَارَزْم شاه، وطارت شهرته في الآفاق، وكانت شهرته في جميع العلوم، وخاصة في الهيئة والفلك و النجوم والأرصاد، وكانت شهرته في علم النجوم والرصد قد بلغت مسامع هولاكو، فأراد أن

---

1 - ينظر: النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣١.

2 - نقلاً عن بغية الوعاة: ١/ ٥٢١. وقد اعتمدنا على النقل لعدم تمكننا من الحصول على كتاب ذيل تاريخ بغداد.

يكون هذا العالم الجليل ضمن حاشيته ، ليستعين به وبخبرته في النجوم ، فاحتل مكانة مرموقة عنده ، وحيث إنه برع في العلم الذي يهتم به سلاطين المغول ، وهو علم الرصد والنجوم ، فكان هولاكو يطيعه ويضع الأموال الطائلة تحت تصرُّفه ، فاستغل الطوسي ذلك وأرسل إلى علماء المشرق والمغرب يدعوهم إلى مراغة وابتنى لهم فيها مرصداً كبيراً ، ومكتبة ضخمة بلغت محتوياتها زُهاءَ (٤٠٠,٠٠٠) مجلد من المخطوطات معظمها من المنهوبات من خزائن بغداد والشام والجزيرة العربية . وكان ركن الدين واحداً مِمَّن لَبَّوْا دعوةَ الطوسي للتلمذة عليه ، والعمل تحت لوائه في الميدان العلمي . وكان ركن الدين مبجلاً عند الناس وجيهًا متواضعًا ، يقال إنه كان يقوم لكل واحد حتى للسقاء ، وتخرج به جماعة من الأفاضل [1]،[2] .

ح – رحلاته :

- رحيله إلى بغداد :

رحل ركن الدين مع أستاذه الطوسي إلى بغداد ، وذلك في عام ٦٧٢هـ ، فلما مات الطوسي في هذه السنة رحل ركن الدين إلى الموصل [3] .

- رحيله إلى الموصل :

---

1 – ينظر الدرر الكامنة : ٢/ ١٦ .

2 – لم تحدثنا المصادر التي بين أيدينا والتي ترجمت لركن الدين عن أفراد أسرته ووجوده بينهم ، ويبدو أن أسرته لم تكن من ذوي الجاه والسلطان ، ولا من ذوي المكانة العلمية أو الاجتماعية المرموقة حتى تتناقل أخبارها كتب التراجم .

3 – ينظر : بغية الوعاة : ١ / ٥٢٢ .

ترك ركن الدين بغداد متوجهًا إلى الموصل وذلك لما مات أستاذُه ، وفي الموصل احتلَّ مكانة علمية مرموقة وصار عالمَ المَوْصِلِ المتفرِّد [1] ودرس للشافعية [2] ، وولي التدريس بالمدرسة النورية ، وبالموصل صنَّف غالب مؤلفاته [3] يقول السيوطي : ((ولما توجه النصير إلى بغداد سنة ٦٧٢هـ لازمه فلما مات النصير في هذه السنة صعد إلى الموصل واستوطنها ودرّس بالمدرسة النورية بها وفُوّض إليه النظر في أوقافها)) [4].

وظلّ الرجل بالموصل حتى واتته المَنِيَّةُ رحمه الله رحمةً واسعة .

ط – أخلاقه وصفاته :

كان ركن الدين وجيهاً حليمًا متواضعًا ، يقال إنه كان من شدّة تواضعه يقوم لكلّ واحد حتى للسقاء [5] .

ويقول السبكي في طبقات الشافعية الكبرى [6] : "... وكان جليل القدر معظَّمًا عند ملوك الزمان حسن السَّمْتِ والطالع حُكِيَ أنه كان مدرسًا بماردين بمدرسة هناك تسمى مدرسة الشهيد ، فدخلت عليه امرأةٌ يومًا ، فسألته عن أشياءَ مشكلةٍ في الحَيْض ، فعجز عن

---

1 – ينظر : الدرر الكامنة : ٢ / ١٦ ؛ وهدية العارفين : ١ / ٢٨٣ .

2 – ينظر : السلوك : ٢ / ١٥٨ .

3 – ينظر : النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٣١ .

4 – بغية الوعاة : ١ / ٥٢٢ .

5 – ينظر : الدرر الكامنة : ٢ / ١٦ ، والشذرات : ٦ / ٣٥ .

6 – ٩ / ٤٠٧ .

الجواب، فقالت له المرأة: أنت عَذَبَتُكَ[1] واصلة إلى وَسَطِكَ وتعجزُ عن جواب امرأة؟ فقال لها: يا خالة لو علمت كل مسألة أسأل عنها لوصلت عَذَبَتي إلى قرن الثور".

ي- مكانته العلمية وثقافته:

كان ركن الدين - رحمه الله - نحويًا، صرفيًا، لُغَويًا، أديبًا، فقيهًا. يضاف إلى ذلك أنه كان عالمًا في المنطق والطبّ وعلم الكلام، وله تصانيف مفيدة في كلّ هذه المجالات، سوف نتحدث عنها في موضعها من هذا المبحث. إن شاء الله تعالى.

وهذا يعني أنه كان على جانب عظيم من الثقافة والاطلاع. قال صاحب أعيان الشيعة: "كان تلميذ المحقّق الطوسي الخواجة نصير الدين ومن أخصّ أصحابه ومثله في التحقيق وكان علّامة في العلوم العقلية والنقلية"[2].

وقال كحّالة في معجم المؤلفين[3]: "عالم مشارك في النحو والتصرف والفقه والمنطق والطب والكلام والأصول".

وسوف تبرز مكانته العلمية بصورة أوضح من خلال ما سوف نعرضه من آراء للعلماء فيه

1- عَذَبَةُ كلّ شيء: أعلاه أو طرفه. ينظر: القاموس المحيط/عذب/١: ١٠١. ويقصد بها ها هنا: خرقة اللواء؛ أي: العمامة.

2- أعيان الشيعة: ٢٣/١٤٥.

3- ٣/١٩٦.

وذلك في موضعه من بحثنا هذا، إن شاء الله تعالى .

فإن قيل : من أين استمدّ ركن الدين ثقافته ؟ قلنا : إنه اشتغل على النصير الطوسي وحصّل منه علومًا كثيرة ، لدرجة أنه صار معيدًا في درس أصحابه .

يضاف إلى هذا أنه قد شغف بمصنفات ابن الحاجب – رحمه الله – وعلى وجه خاص بالكافية وشرحها ، وبالشافية ، ومختصر ابن الحاجب في علم الأصول وهو المعروف باسم : " مختصر منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل " .

ومؤلفات ابن الحاجب هذه قد طارت شهرتها وعمّت الآفاق في كلّ الأوقات وخاصة في عصر ركن الدين الذي هو عصر ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) ، فتبناها ركن الدين ، وتتلمذ عليها وصار تلميذًا لابن الحاجب بواسطة مؤلفاته هذه .

ك – مذهب ركن الدين الفقهي :

ركن الدين شافعيُّ المذهب في الفقه ، وقد نصّ على ذلك السبكي المتوفى (٧٧١هـ) حيث ترجم له في كتابه طبقات الشافعية الكبرى ، وعده واحداً من أكابر علماء الشافعية ، وتابعه في هذا المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) ، ونصّ في كتابه السلوك على أنه كان مدرسًا للشافعية . وتابعهما في ذلك إسماعيل البغدادي في كتابه هدية العارفين . يضاف إلى ذلك أنه شرح واحدًا من أهم كتب الشافعية وهو كتاب الحاوي الصغير في فقه الشافعية للقزويني (ت ٦٦٥هـ) [1] .

---

1 – ينظر : الأعلام : ٢ / ٢٢٣ .

وأيضًا نجده يستشهد بكلام الإمام الشافعي؛ حيث أورد له شاهدًا في الوافية[1] بعد أن استشهد به في البسيط[2]، وهو قول الشافعي – رحمه الله:

وَلَوْلاَ الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيد[3]

– صلة ركن الدين بالمذهب المالكي:

اتصل ركن الدين بالمذهب المالكي عن طريق الإمام ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) حيث إن المعروف عن ابن الحاجب أنه اشتغل بالفقه على مذهب الإمام مالك – رضي الله عنه –[4] وفيه صنَّف غالب مؤلفاته ومن بينها كتابه منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل ومختصره؛ وهما كتابان في أصول الفقه المالكي. وقد تناول ركن الدين هذا المختصر الأصولي بالشرح، وسمّى شرحه: حل العقد والعقل في شرح مختصر منتهى الوصول والأمل. ومن هنا جاء اتصال عالمنا ركن الدين بمذهب الإمام مالك رحمة الله.

– اتصاله بالشيعة:

إن أحدًا لم يذكر إن ركن الدين الأستراباذي كان متشيّعًا؛ بل كان الرجل سلفيًّا من أهل السنة

---

1 – ص ٧٢.

2 – ١/١٣٦.

3 – ديوان الإمام الشافعي ص ٧٣.

4 – ينظر: وفيات الأعيان: ٣/٢٤٨.

يتبع مذهب الإمام الشافعي – كما ذكرنا . إذن فمن أين جاء اتصاله بالشيعة ؟

أقول : إنه اتصل بالشيعة من الطرق التالية :

أ – تلمذته على نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) ، وكان النصير الطوسي شيعيًا تحدّد مذهبه السياسي بتميّزه الشديد للاثنى عشرية ، مما بَوّأه مقعد الزعامة للشيعة الإيرانية بفضل مواهبه وتفنّنه في علوم شتى [١] .

ب – ألف كتابًا أسماه (نهج الشيعة) ألّفه باسم السلطان إدريس بهادرخان [٢] ، وواضح أنه ألفه لكسب رضا هذا السلطان الشيعيّ .

ج – محاولة علماء الشيعة جاهدين أن يستخلصوه لأنفسهم ، فيجعلوه من أعيان الشيعة ، ويترجم له العاملي في كتابه أعيان الشيعة [٣] .

ولعل الذي دفع العاملي ليترجم لركن الدين في أعيان الشيعة أنه عرف من أخباره أنه كان تلميذ الخواجة الطوسي المفضّل ومن أخصّ أصحابه ، ومثله في التحقيق على حدّ تعبيره [٤] .

يضاف إلى ذلك ما عرف عن أسرته ؛ حيث كان جدّه الأدنى علي بن الحسين شرف الدين

---

1 – ينظر أعيان الشيعة : ٤٦/٤ – ١٩ .

2 – ينظر المصدر السابق : ٢٣/ ١٤٥ .

3 – في : ٢٣/ ٧٠ ، ١٤٥ – ١٤٦ .

4 – المصدر السابق .

شاه، من علماء الشيعة، ذكر ذلك صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة[1].

وكذلك ما عرف عن ركن الدين من أنه كان فارسيّ الأصل. وبلاد فارس كانت مرتعًا للشيعة بوجه عام، وإن كانت مدينة (قُمْ) مركزًا للعصبية الشيعية منذ زمن بعيد[2]، وهي في بلاد فارس نُضَاهِي الكوفة في العراق[3].

خلاصة القول في عقيدته وهواه:

بعد ما ذكرناه حول عقيدته ومذهبه الفقهي والأدلة التي ذكرناها تأييداً لما ذهبنا إليه يمكننا القول بأنّ ركن الدين كان مسلمًا متديّنًا وَرِعًا تَقِيًّا سلفيًا يتبع مذهب أهل السنة على مذهب الإمام الشافعي، وليس شيعيًّا بالرغم من صلته بالمشيعين. ويؤيد ذلك أننا نراه يستشهد بالحديث النبوي الشريف على القواعد النحوية وأيضًا بكلام الصحابة مثل عمر بن الخطاب وابن الزبير – رضي الله عنهما – وأيضا يستشهد بكلام لابن عباس – رضي الله عنه – كما سنوضح في الفصل الخاصّ بالشواهد النحوية، ولم نره يستشهد بكلام للإمام علي. رضي الله

---

1 – هو الشيخ أغا بزرك الطهراني. استغرق ستة وعشرين عامًا في تأليف كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة من سنة ١٣٢٩ هـ إلى سنة ١٣٥٥ هـ. ينظر الكلمة التي كتبها الأوربادي عن حياة المؤلف في مقدمة الكتاب.

2 – ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية للمستشرق الروسي (ف. بارتولد) ترجمة حمزة طاهر ص ٦٣ – ط ٢.

3 – ينظر: الفهرست لابن النديم ص ٩٨/ط. الرحمانية. وينظر كذلك: الفنّ ومذاهبه في الشعر، د. شوقي ضيف، ص ٢٠٣.

عنه. بعكس عالم آخر هو الرضي الأستراباذي الذي عاصره وظهرت نزعته الشيعية بصورة كبيرة من خلال ما استشهد به في مواطن كثيرة من كلام الإمام علي - كرم الله وجه .

ل - شيوخ ركن الدين وتلاميذه :

أولاً - شيوخه :

لم تذكر لنا كتب التراجم التي ترجمت لركن الدين من شيوخه سوى العلامة نصير الدين الطوسي وسيف الدين الآمدي ، وكذلك لم يشر ركن الدين في مؤلفاته التي وصلت إلينا إلى واحد من شيوخه الآخرين . ولكنني أرجّح أنه تلمذ أيضًا على الإمام ابن الحاجب . فإن قيل : ما السبيل إلى هذا الترجيح ؟ قلنا : إننا لو تأملنا ميلاد كل من الطوسي وابن الحاجب وركن الدين ، وكذلك تاريخ وفاتهم ، لوجدنا أنهم تعاصروا ؛ فالطوسي ولد سنة ٥٩٧هـ وتوفي سنة ٦٧٢هـ ، وابن الحاجب ولد سنة ٥٧١ هـ وتوفي سنة ٦٤٦هـ ، وركن الدين رجّحنا أنه ولد حول سنة ٦٠٠هـ تقريبًا ؛ حيث ترجم له ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، وتوفي سنة ٧١٥هـ وكان من المعمّرين ، وقد شاخ على حدّ عبارة ابن العماد الحنبلي . وقد تعرّف الطوسي على كافيه ابن الحاجب وشرحها ، ومن هذا الشرح نسخة في الأسكوريال ثان رقمها (١٩١) [1] . وأيضًا تعرف ركن الدين على الكافية وشرحها ثلاثة شروح ، وشرح الشافية شرحًا واحدًا ، وشرح

---

1 - تاريخ الأدب العربي : ٥ / ٣١٠ .

مختصر المنتهى الأصولي له أيضًا . أقول : فكيف عثر الطوسي وركن الدين على مؤلفات معاصرهم ابن الحاجب في زمن يصعب فيه نشر الكتب وتداولها وطباعتها إلا أن يكونوا قد تقابلوا وتدارسوا هذه الكتب ؟ .

وعلى كلٍ فهذا مجرد ظنّ وترجيح وإن لم يكن ركن الدين قد تلمذ مباشرة على ابن الحاجب فقد تلمذ عليه بطريق غير مباشر ، أعني : تلمذ على كتبه التي تبناها وجمعها وقرأها وأفاد منها ودرسها وشرحها ، وهذا مما لا شكّ فيه . ويؤكّد اهتمامه بجمع كتب ابن الحاجب وبخاصة نسخ الكافية وشرح المصنف لها ما قاله في الوافية[1] حيث قال ما نصُّه : " اعلم أني وجدت نسخة قرئت على المصنف وعليها خطّه كان " على الأفصح " بعد قوله " والآخر الهمزة " . وكان فيها بدل قوله ((ومن ثم لم يجز)) : ((ومن ثم ضعف)) ، وهو قريب من الأول ، لكن شرح المصنف يوافق ما ذكرناه أولاً .

وعلى كلّ فسوف نعدّه واحدًا من شيوخه الذين تلمذ على كتبهم إن لم تكن تلمذة مباشرة ، وفي سطور موجزة نقدّم ترجمة مختصرة للطوسي ولابن الحاجب ، ولنبدأ بالطوسي ؛ حيث لا شك في أنه تلمذ عليه مباشرة :

---

1 - ص ٣٢٠ .

١ - نصير الدين الطوسي: هو أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن أشهر علماء القرن السابع الهجري، فيلسوف، فلكي؛ إذ كان رأسًا في العلوم العقلية وعلامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات. وهو إخباريٌّ متعدّدُ الجوانب، وهو سياسيٌّ شيعيٌّ. ولد بطُوس في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٥٩٧ هـ / الثامن عشر من فبراير سنة ١٢٠١ م. ودرس علوم اللغة من نحو وصرف وأدب بعد دراسته للقرآن الكريم، وتوفي ببغداد في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٦٧٢هـ - السادس والعشرين من شهر يولية سنة ١٢٧٤ م.

وكانت منزلته عالية عند هولاكو، فكان هولاكو يطيعه فيما يشير به عليه، حتى بنى له مرصدًا عظيمًا في مراغة، واتخذ خزانة ملأها بالكتب التي نُهِبَت من بغداد والشام وشبه الجزيرة العربية، اجتمع فيها من الكتب نحو أربعمائة ألف مجلد وقرر منجمين لرصد الكواكب، وجعل أوقافًا تقوم بمعاشهم، وكان هولاكو يعتدُّ بالأموال. وصحبه في غزو بغداد. وقيل إن الطوسيَّ هذا هو الذي أشار على هولاكو بقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، بعد دخول بغداد، وساعده في ذلك الوزير ابن العلقمي [1].

وقد تحدد مذهبه السياسي بتحيُّزه الشديد للاثنى عشرية مما بوّأه مقعد الزعامة للشيعة الإيرانية بفضل مواهبه وتفنُّنه في علوم شتى.

---

1 - ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير: ١٣/ ٢٠١.

وللطوسي مصنّفات كثيرة جداً في كل فروع المعرفة جاوزت المائة بين كتاب ورسالة ومقالة في مختلف المواضيع، وباللغتين العربية والفارسية، حيث صنّف في الحكمة والفلسفة والهيئة والنجوم والرياضيات والطبيعيات والعلوم الدينية وعلوم العربية وغيرها. ومن مؤلفاته التي لا تحصى: شرح كافية ابن الحاجب[1]، وشكل القطاع، وتجريد العقائد، وتلخيص المحصل، ورسالة في الموسيقى شرحها. وغير ذلك[2]،[3].

٢- **السيف الآمدي:** هو: علي بن علي بن محمد بن سالم التغلبي، الإمام أبو الحسن، سيف الدين الآمدي المشهور صاحب التصانيف الكثيرة. ولد بـ(آمِد) سنة ٥١١ هـ وتوفي بها سنة ٦٣٦ هـ. وقد نصّ السيوطيّ[4] على أنّ ركن الدين قد أخذ عنه.

وللرجل مصنّفات مفيدة منها: الباهر في علم الأوائل والأواخر، وأبكار الأفكار في أصول الفقه، والحقائق في علوم الأواخر، وإحكام الأحكام في أصول الفقه، وغير ذلك[5].

1- ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥/ ٣١٠. وينظر مؤلّفاته في هذا المصدر في: ١/ ٥٠٨.

2- في فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، فصلٌ عن نصير الدين الطوسي ومصنّفاته؛ ينظر: ٣/ ٢٤٦- ٢٥٢.

3- ينظر ترجمته في: الأعلام: ٧/ ٢٥٧- ٢٥٨، وأعيان الشيعة: ٤٦/ ٤- ١٩، ومعجم المؤلفين: ١١/ ٣٠٧، ودائرة المعارف الإسلامية: ١٥/ ٣٧٨- ٣٨٢.

4- في بغية الوعاة: ١/ ٥٢٢.

5- ينظر في ترجمته: لسان الميزان: ٣/ ١٣٤- ١٣٥، ومفتاح السعادة: ٢/ ١٧٩، والأعلام: ٥/ ٥٣.

٣ - ابن الحاجب : هو أبو عمرو، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، جمال الدين الدوني [١] الكردي الأصل، المشهور بابن الحاجب . وقد اشتهر بذلك؛ لأن أباه كان حاجبًا للأمير عز الدين موسك الصلاحي . ولد بإسنا بصعيد مصر سنة ٥٧٠ هـ، ونشأ بالقاهرة ثم هاجر إلى دمشق، ومات بالأسكندرية سنة ٦٤٦هـ، وله مؤلفات كثيرة جدًا وعظيمة في مختلف المجالات تدل على غزارة علمه ودقه فهمه، من بينها المقدمة الكافية في النحو، والشافية في الصرف، وشرحهما، والإيضاح في شرح المفصل للزمخشري، ومنتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، ومختصره المعروف بمختصر المنتهى الأصولي، وغير ذلك مما يضيق المقام عن حصره [٢] .

1- قال ابن فرحون في الديباج المذهب ٢ / ٨٩ : " ودونه موضع الأكراد ببلاد المشرق " .

2- ينظر ترجمة ابن الحاجب في:

- وفيات الأعيان، لابن خلكان (ت ٥٨١ هـ) : ٣/٢٤٨ . تحقيق إحسان عباس /دار الثقافة العربية .
- الطالع السعيد، للإدفوي (ت ٦٤٨هـ) ،ص ٣٥٦ . تحقيق سعد محمد حسن الدار المصرية للتأليف /سنة ١٩٦٦م
- البداية والنهاية، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، ١٣ / ١٧٦ .
- الديباج المذهب، لابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ) : ٢/٨٦ . تحقيق الأحمدي أبو النور / دار التراث بالقاهرة .
- مفتاح السعادة، طاش كبري زادة (ت ٩٦٨هـ) ١/١٣٩ . دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
- شذرات الذهب، لابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) : ٥/٢٣٤ .
- روضات الجنات، للخوانساري (ت ١٣١١هـ) : تحقيق أسد الله إسماعيليان / قم سنة ١٣٩٢هـ .
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٥/٣٠٨-٣٤٣ .

ثانيًا – تلاميذه:

لم تذكر لنا كتب التراجم من تلاميذ ركن الدين سوى تاج الدين الأردبيلي ، وإن كنت أرى أنه تتلمذ على يديه كثير من أهل العلم والفضل ، بدليل قول ابن حجر – وهو بصدد ترجمه : " وتخرّج به جماعة من الفضلاء "[1] .

١ – تاج الدين الأردبيلي: هو تاج الدين ، أبو الحسن ، علي بن عبد الله أبي الحسن[2] ابن أبي بكر ، الأردبيلي ، التبريزي ، الشافعي ، عالم جامع لأنواع العلوم ؛ النحو ، الفقه ، التفسير ، الحديث ، الأصول ، الحساب ، الهندسة ، الكلام ، الطب .

ولد في أردبيل بآذربيجان سنة ٦٧٧هـ[3] ، وسكن تبريز ، ورحل إلى بغداد فمكّة حاجًا فمصر ، وتوفي بالقاهرة في رمضان سنة ٧٤٦هـ ،

أخذ النحو والفقه عن عالمنا ركن الدين الأستراباذي[4] وقرأ عليه شرحه للكافية ، وله شيوخ في مختلف العلوم والفنون . وله مؤلفات كثيرة منها : حاشية على شرح الحاوي الصغير

• ابن الحاجب النحوي: آثاره ومذاهبه ، طارق عبد عون الجنابي دار التربية ببغداد .

1- الدرر الكامنة : ٢/ ١٦ .

2- وفي الأعلام (٥ / ١٢١) : (أبو الحسن) .

3- وفي الشذرات : ٦/ ١٤٨ : " ولد سنة ٦٦٧ هـ) .

4- وتاج الدين الأردبيلي المترجم له : شيخ العلامة ابن هشام الأنصاري (٧٠٨ هـ – ٧٦١هـ) تعلم النحو والفقه على ركن الدين الأستراباذي ، وعلّمه لتلميذه ابن هشام ، وعلى هذا يكون ابن هشام تلميذا غير مباشر لركن الدين الأستراباذي .

للقزويني – في الفقه الشافعي . ومبسوط الأحكام ، ومختصر علوم الحديث لابن الصلا ، والتذكرة في الحساب . وغير ذلك كثير[1] .

م – وفاته :

اختلف المؤرخون حول السنة التي توفي فيها عالمنا ركن الدين وكذلك حول الشهر الذي توفي فيه ، والأكثرون على أنه توفي سنة ٧١٥ هـ ، وهذا ما ذكره السبكي (ت ٧٧١ هـ) في طبقات الشافعية الكبرى[2] والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ) في السلوك[3] ، وابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في الدرر الكامنة[4] ، وتابعهم في التصريح بهذا التاريخ إسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) في هدية العارفين[5] .

وهناك من عيّن الشهر الذي توفي فيه في هذه السنة (٧١٥ هـ) ؛ حيث ذكر ابن تَغْرِي بَرْدِي أنه توفي في صفر سنة ٧١٥ هـ[6] ، وهو عين ما أثبته العيني في عقد الجمان . وذكر

---

1 – ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة : ٣ / ٧٢ – ٧٤ ، والأعلام : ٥ / ١٢١ ، وهدية العارفين : ١ / ٧٧١٩ ، ومعجم المؤلفين : ٧ / ١٣٤ .

2 – في : ٩ / ٤٠٧ – ٤٠٨ .

3 – ٢ / ١٥٨ .

4 – ٢ / ١٧ .

5 – ١ / ٢٨٣ .

6 – ينظر النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٣١ .

ابن رافع في ذيل تاريخ بغداد أنه توفّي في الرابع عشر من صفر سنة ٧١٥ هـ .

وقد اضطرب المتأخرون في تحديد السنة التي توفّي فيها ؛ حيث ترجم له ابن العماد مرة تحت وفيات (٧١٥ هـ) وأخرى تحت وفيات (٧١٨ هـ) . وذكر حاجي خليفة أنه توفّي سنة ٧١٥ هـ[1] . وهذا ما نصّ عليه عمر كحّالة في معجم المؤلفين[2] .

ونحن نرجّح أنه توفّي سنة ٧١٥ هـ . وهو الرأي الذي عليه الأكثرون من المتقدّمين الذين هم أقرب زمنًا إليه ، وكانت وفاته في مدينة الموصل في الرابع عشر من شهر صفر عند مشهد الكفّ وكانت جنازته مشهودة ، رحمه الله رحمة واسعة[3] .

ن - آراء العلماء فيه :

عرف القدماء مكانه ركن الدين ، وكذلك المحدثون ، فكان له من الثناء والتقدير والإعجاب من هؤلاء وأولئك ، ما رأيناه يتفق في جملته مع شخصيته وعبقريته ، وسنورد بعض

---

1 - ينظر : كشف الظنون ، ص ١٢٧٣ ، ١٦٤٨ .

2 - في : ٣ / ١٩٦ .

3 - ينظر ترجمة ركن الدين في : معجم الأدباء : ٨ / ٥ ، تتمة المختصر بأخبار البشر : ٢ / ٢٦٣ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٩ / ٤٠٧ - ٤٠٨ ، السلوك في معرفة دولة الملوك : ٢ / ١٥٨ ، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة : ٦ / ٨٦ ، الدرر الكامنة : ٢ / ١٦ - ١٧ ، النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٣١ ، ، بغية الوعاة : ٢ / ٢١٨ ، كشف الظنون ص ١٢٧٣ ، ١٦٤٨ ، شذرات الذهب : ٦ / ٣٥ ، الأعلام : ٢ / ٢٢٣ ، هدية العارفين : ١ / ٢٨٣ ، أعيان الشيعة : ٢٣ / ٧٠ ، ١٤٥ ، معجم المؤلفين : ٣ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

ما قيل فيه، وفاءً بحقّه، ومشاركة في التقدير والإعجاب من جهة، واستيفاء للبحث من جهة أخرى، مع الوقوف عند بعض النصوص ومناقشتها كلما دعا الأمر إلى ذلك ثم التعقيب عليها في النهاية لإبداء رأينا الخاص في مثل هذه الآراء مدحًا أو قدحًا .

والآن أكتفي بهذه العجالة، وأُدْلف إلى ما نحن بصدده من البيان :

فهذا ياقوت الحموي ت : ٦٢٦ هـ، ذلك الذي عاصره، يصفه بقوله : «النحوي، اللغوي، الأديب، حسنة طبرستان، وأوحد ذلك الزمان»[1] .

ويقول السبكي (ت ٧٧١ه) : «وكان جليل القدر، معظمًا عند ملوك الزمان، حسن السمت والطالع»[2] .

وقال المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في : السلوك[3] : «عالم بالموصل ومدرس الشافعية . . . وتقدم عند التار، وتوفرت حرمته، وبرع في علوم المعقولات وكان يجيد الفقه وغيره» .

وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) : «كان من كبار تلامذة النصير الطوسي وكان مبجّلاً عند التار، وتخرج به جماعة من الفضلاء»[4] .

1- معجم الأدباء : ٨/ ٥ .

2- طبقات الشافعية الكبرى : ٩/ ٤٠٧ .

3- ٢/ ١٥٨ .

4- الدرر الكامنة : ٢/ ١٦ .

وقال ابن تَغْرِي بَرْدِي (ت ٨٧٤هـ) : ((الشيخ الإمام العلامة السيد ركن الدين : كان إماما مصنفًا عالمًا بالمعقول)) [1] .

ويقول إسماعيل بن علي الذي شرح أبيات شواهد الوافية ، وسماه (كشف الوافية في شرح الكافية) : وكان كتاب الوافية ، للسيد العلامة ، قدوة العلماء والمتبحرين ، زبدة المتقدمين والمتأخرين ركن الملة والدين – أسكنه الله تعالى بحابيح جناته – دستورًا في هذا الفن ؛ إذ به يعرف أكثر مسائله ، ومشهورًا ؛ إذ كل واحد يستضيء بنور معالمه مع ما للطلبة من الحرص عليه وقراءته والشغف بدراسته)) [2] .

ويصفه ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) بأنه كان ((علامة متكلمًا ، نحويًا . . .)) [3] .

ويقول العاملي : ((كان تلميذ المحقق الخواجة نصير الدين ، ومن أخص أصحابه ومثله في التحقيق . وكان علامة في العلوم العقلية والنقلية)) [4] .

وجدير بركن الدين أن يكون موضع تقدير الجميع ؛ فهو من عرفت علمًا وخلقًا وتدينًا ، وتواضعًا ، ولعل ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) قد اكتشف مواهبه المبكرة واتصل به عن قرب

1- النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٣١ .

2- مقدمة كشف الوافية في شرح الكافية .

3- شذارت الذهب : ٦ / ٣٥ .

4- أعيان الشيعة : ٢٣ / ١٤٥ .

وعرف عنه من العلم والفضل أكثر مما عرفناه بكثير، فأطلق عليه عبارته المشهورة التي حفظها التاريخ الطويل وسوف يحفظها للأجيال اللاحقة إن شاء الله، وهي عبارته التي يصف فيها ركن الدين بقوله: "النحوي، اللغوي، الأديب، حسنة طبرستان، وأوحد ذلك الزمان".

وقد أعجب العلماء بنحو ركن الدين، لدرجة أننا نرى بعضهم من شدة إعجابه بما كتبه ركن الدين — تشحذ قريحته، فينشد شعرًا يصرح فيه بأنه من أراد نحوًا مهذبًا فعليه بكتاب المتوسط، لركن الدين، ويصرح ثانية بأن من يريد نحو الأعالي فعليه بمقال ركن الدين في المتوسط استمع إليه وهو يقول عن كتاب المتوسط:

يَا مَنْ يُهَذِّبُ مُنْطِقًا بِالنَّحْوِ خُذْ ... بِالْحَاجِبِيَّةِ وَامْشِ فِي الْمُتَوَسِّطِ

إِنَّ النَّتِيجَةَ لَا تَفُوزُ بِصِدْقِهَا ... مَنْ لَمْ يَفُزْ يَوْمًا بِخَيْرِ أَوْسَطِ

لَا تَطْلُبِ الْأَعْلَى فَإِنَّ مَنَالَهُ ... صَعْبٌ وَلَا تَرْضَ الْمُذِلَّ فَتَسْقُطِ

فَالْخَيْرُ فِي وَسَطِ الْأُمُورِ وَإِنَّنِي ... شَاهَدْتُ كُلَّ النَّفْعِ فِي الْمُتَوَسِّطِ

يَا قَاصِدًا نَحْوَ الْأَعَالِي جَاهِدًا ... فِي النَّحْوِ خُذْ مِنْهُ بِوَجْهٍ أَحْوَطِ

بِالْحَاجِبِيَّةِ خُذْ وَقِفْ فِي حَلِّهَا ... بِمَقَالِ رُكْنِ الدِّينِ فِي الْمُتَوَسِّطِ

هذا إلى أنني لست أزعم أن صاحبي ركن الدين مبرأ من كل عيب، فما هو بمعصوم ولقد أخذت عليه أنه كان — مع دقته الشديدة — غير دقيق في مسألتين اثنتين: إحداهما: تعلق

بنسبة رأي إلى صاحبه، حيث ذكر أن عيسى بن عمر، وأبا العباس المبرد، كانا يريان أن المؤنث إذا سمي باسم مذكر، على ثلاثة أحرف ساكن الوسط، مثل زيد ونحوه، يمنع الصرف فقط [1]. ولكني رأيت أنهما يجوّزان الأمرين في هذه المسألة، مع ترجيح الصرف.

والثانية[2] تتعلق بنسبة قراءة إلى صاحبها، وهي قراءة قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ له فيها بِالغُدُوِّ والآصال. رِجَالٌ﴾[3]. ببناء (يُسَبَّح) للمفعول، فقد نسب هذه القراءة لعاصم وابن عامر. والحق أنها قراءة ابن عامر وأبي بكر، أما قراءة حفص التي رواها عن عاصم فهي (يُسَبِّح) بالبناء للفاعل.

وسوف تحدث عن هذين المأخذين في موضعهما من الكتاب إن شاء الله تعالى.

وعلى كلٍ فمأخذ في كتاب البسيط -على ضخامته، ومأخذ آخر في كتاب الوافية لا يقللان بحال من الأحوال من شأن عالمنا الكبير.

فلست إذن بالغاوي ولا المتعصب، ولكنها بموضوعية شديدة، الصورة التي انطبعت في نفسي وذهني، بعد دراسة شخصية الرجل دراسة فاحصة واعية فيما أحسب.

1- ينظر البسيط: ١/ ١٥٠.

2- في الوافية، ص ٤٩.

3- سورة النور: من الآيتين: (٣٦، ٣٧).

وفي نهاية المطاف ، أعود فأقول : رحم الله أبا علي ، لقد كان شخصية قوية في جبين التاريخ أحبَّها الجميع فأثنوا عليه ثناء حارًا مستفيضًا ، وأعترف أني مستريحٌ الآن ، بعد أن كشفت النقاب عن شخصيةٍ كهذه عرفها القدماء فاعترفوا بفضلها ، ولم يكن المحدثون يعرفونها فبعضُهم ظَنَّه الرضي ، وبعضهم لم يَظُنَّه شيئًا ..

المبحث الثاني

آثاره (الموجود منها والمفقود)

حَفِظَ التاريخُ لركن الدين أسماءَ بعضِ آثاره، فذكر له ياقوت في معجم الأدباء اثنين من المؤلفات [1] وارتفع بها السبكي إلى سبعة [2]، وذكر المقريزي من تلك السبعة ستة فقط [3]، وذكر ابن حجر سبعة من هذه المؤلفات [4]، وأما ابن تَغْرِي بَرْدِي فقد ذكر ثمانية مؤلفات، وأردف ذلك بعبارة: "وعدة تصانيف أخر ذكرناها في غير هذا الكتاب" [5]. وأما صاحب أعيان الشيعة فقد بلغ بها ستة عشر مصنَّفًا [6].

ومما لاحظتُه أن العديد من كتب التراجم كانت تردف ما تقوله بشأن هذه المؤلفات بالعبارة التقليدية التي درج عليها المترجمون حينما يقولون "وغير ذلك" فليتهم ذكروا كلَّ ما وقفوا عليه وأراحوا من جاء بعدهم من عناء كثير.

1- ينظر: ٨/ ٥.

2- ينظر طبقات الشافعية الكبرى: ٩/ ٤٠٧.

3- ينظر السلوك: ٢/ ١٥٨.

4- ينظر الدرر الكامنة: ٢/ ١٦-١٧.

5- النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣١.

6- ينظر أعيان الشيعة: ٢٣/ ١٤٥.

وقد رأيت أن أتبع آثاره في كل ما وقع تحت يدي من كتب التراجم وغيرها فوجدتها بلغت العشرين، بالرغم من أن معظم المراجع التاريخية -عدا ما ذكرناه- لا يكاد يشير إلا إلى النَّزْرِ اليسير من آثار ركن الدين، وأحيانًا يطوي الحديث فلا يصرح بكثير أو قليل. على أن جل هذه الآثار قد عَدَتْ عليها العَوَادِي فطواها الزمنُ فيما طوى من ذخائرَ، ولم يصل إلينا إلا كتب أربعة سنعوض لها عما قريب بالدراسة والتفصيل والتحليل لنكشف النقاب عن جهوده في الميدانين، النحوي والصرفي.

وقد حاولت جاهدًا أن أتعرف تاريخ تأليف كل كتاب على حده، ليكون تاريخ الإنتاج أساس هذا الترتيب، ولكن عَبَثًا حاولت، وحين عزَّ عليَّ ذلك عمدتُ إلى ترتيبها حسب أحرف الهجاء. هذا وسأحاول جاهدًا أن أوثق نسبة كل كتاب إلى ركن الدين، وذلك بذكر المراجع التي أشارت إليه، وبالنصوص التي نقلت منه، كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وإليك هذه الآثار:

١- **الاختيارات النحوية:**

صنّفه ركن الدين وأهداه للسلطان الملك المظفّر صاحب ماردين. ذكره العيني في (عقد الجمان)[1].

والكتاب بعد مفقود بحث عنه كثيرًا، وفتشت عنه في جميع المكتبات العامة، لكن دون جدوى.

1- ٢/١٥٨.

٢- البسيط:

ويسمى "الشرح الكبير": وهو شرح مطوَّل على الكافية لابن الحاجب. وهو واحد من شروح ثلاثة له على الكافية.

وسنفصل القول في هذا المصنف بعد الفراغ من عدّ مصنفات ركن الدين؛ إذ إنه من الكتب التي وصلت إلينا..

٣- حلّ العُقَد والعَقَل في شرح مختصر منتهى الوصول والأمل:

وهو شرح على كتاب: مختصر منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل للإمام ابن الحاجب. وهو كتاب في أصول الفقه المالكي.

وقد ذكره المقريزي في "السلوك"، وابن حجر في "الدرر الكامنة"[1]، وابن تغري بردي في "النجوم الزاهرة"[2] والبغدادي في "هدية العرفين"[3].

وجاء في كشف الظنون (ص ١٨٥٣) ما نصُّه: "... ومن شرحه - يعني: مختصر المنتهى لابن الحاجب - السيد ركن الدين الأستراباذي. أوله: أما بَعْدَ حمد الله خالق الصور والأشباح.. إلخ. سماه: حل العُقَد والعَقَل في شرح مختصر الوصول

1- ٢/١٧.

2- ٩/٢٣١.

3- ١/٢٨٣.

والأمل ، ذكر في أوله اسم السلطان الملك المظفر قراأرسلان بن السيد نجم الدين الغازي الأرتقي الذي تولى الملك على ماردين سنة ٦٥٣هـ وكانت وفاته سنة ٦٩١هـ . والكتاب من الذخائر المفقودة .

٤- حواشٍ على التجريد ، للطوسي :

وهي حواش على كتاب : تجريد العقائد ، لنصير الدين الطوسي ، ويعرف أيضًا بتجريد الكلام . ذكره العاملي في أعيان الشيعة[١] .

وهذه الحواشي جمعها في كتاب ، وهو مفقود .

٥- حواش على كليات القانون :

ذكره العاملي في أعيان الشيعة[٢] ، وهو مفقود .

٦- الزينيّة : وهي مقدمة في النحو ، ذكرها العيني في عقد الجمان[٣] وتابعه العاملي في أعيان الشيعة[٤] وهذه المقدمة من الذخائر العلمية المفقودة .

---

1 - ينظر ٢٣ / ١٤٥ . ويوجد من كتاب التجريد للطوسي نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٠٥) علم كلام طلعت . تقع في (٣٣) ق .

2- ينظر ٢٣ / ١٤٥ .

3- ٢ / ٢٩٦ .

4- ٢٣ / ١٤٥ .

٧- شرح الحاوي الصغير: وهو شرح على كتاب "الحاوي الصغير"[١]، للإمام عبد الغفار بن الكريم بن عبد الغفار نجم الدين، المعروف بالخطيب القزويني المتوفى سنة ٦٦٥هـ. وهو كتابٌ في الفقه على المذهب الشافعيّ.

وذكر ابن حجر العسقلاني أن ركن الدين قد شرح الحاوي شرحين[٢].

وذكر إسماعيل البغداديّ في هَدِيَّة العارفين: أن هذا الشرح في أربعة مجلدات[٣].

وذكر هذا الشرح أيضًا السبكي في طبقات الشافعية الكبرى[٤] والمقريزي في كتابه السلوك لمعرفة دولة الملوك[٥] وهو بَعْدُ مفقود.

٨- شرح ديوان الحماسة:

وهو شرح على ديوان الحماسة الذي جمعه أبو تمام خبيب أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ)[٦].

1- من الحاوي الصغير نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية بالقاهرة، الأولى في (١٠٤) ق خط سنة ٧٨٨هـ، برقم (١٤١) - فقه شافعي. والأخرى في (١٠٠) ق - خط سنة ٦٧٨هـ - برقم (١٢٣٧٦٣/ رمز (ب).

2- ينظر الدرر الكامنة: ٢/ ١٧.

3- ينظر هدية العارفين: ١/ ٢٨٣.

4- ينظر: ٩/ ٤٠٧.

5- ينظر: ٢/ ١٥٨.

6- طبع ديوان الحماسة لأبي تمام، في بغداد بتحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح ونشرته دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة

وهذا الشرح مفقود، لكن ذكره ياقوت في "معجم الأدباء"[1]، والسيوطي في "بغية الوعاة"[2]، وإسماعيل البغدادي في "هدية العارفين"[3] وكحَّالة في "معجم المؤلفين"[4].

وهذا الشرح صنفه ركن الدين في مرحلة مبكرة من حياته، أي قبل سنة ٦٢٦هـ، التي توفي فيها ياقوت الحموي. وهذا يؤكد ما رجحناه بشأن ميلاده، وأنه كان من المعمرين.

٩- شرح شافية ابن الحاجب.

وهو شرح على مقدمة ابن الحاجب في الصرف، والمعروفة بالشافية، وسوف نفرد لهذا المصنَّف حديثًا خاصًا في موضعه من هذا البحث، أي في الفصل الخاص بجهد ركن الدين في الميدان الصرفي؛ إذ إنه من الكتب وصلت إلينا.

١٠- شرح شمسية المنطق:

وهو شرح على كتاب "الشمسية" في المنطق "لأستاذه وشيخه ونصير الدين الطوسي.

الثقافة والإعلام. اعتمادًا على نسخة فريدة، محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب جامعة الآداب جامعة بغداد، برواية أبي منصور موهوب ابن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ).

1- ينظر: ٨/٥.

2- ينظر: ١/٤٩٩.

3- ينظر: ١/٢٨٣.

4- ينظر: ٣/١٩٧.

ومن الشمسية نسخة خطية بمدرسة يحيى باشا بالموصل برقم (١٩) .

وشرح ركن الدين ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى وقال: "وقد وقفت عليه"[1] . وهو بَعْدُ مفقود

١١- الشرح الصغير على كافية ابن الحاجب :

وهو شرح ثان له على الكافية ، لمصنفها العلاقة ابن الحاجب وهو شرح مختصر ، اختصر به مصنفه شرحه الكبير .

ولهذا الشرح حديثٌ آخر ، سيأتي في موضعه من هذا البحث[2] - إن شاء الله تعالى .

١٢- شرح فصيح ثعلب :

وهذا الكتاب شرح فيه مصنفه ركن الدين كتاب "الفصيح" في اللغة لإمام العربية أبي العباس ، أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)[3] .

1- طبقات الشافعية الكبرى : ٩ / ٤٠٧ .

2- وذلك في ص ٧٥ .

3- وكتاب الفصيح اختار فيه مؤلفه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس وكتبهم . ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم (٤٤٦) لغة ، خطت سنة ١١٧٧هـ ، وأخرى بالمدينة المنورة ، مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٩) رمز (س) ، خطت سنة ١٢٩٨هـ ومعها شرح أرجوزة أبي نواس في غريب اللغة لابن جني ، و مطلعها :

وبلدة فيها زور صعراء تخطا في صعر

ومنه نسخة ثالثة ضمن مجموعة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (١٥) رمز (س) ، كتبت سنة ١٣٠١هـ .

وذكره ياقوت في معجم الأدباء [1]، والسيوطي في بغية الوعاة [2]، وحاجي خليفة في كشف الظنون [3]، والبغدادي في هدية العارفين [4]. وكحالة في معجم المؤلفين [5]. وهو من الكتب المفقودة.

١٣- **شرح قواعد العقائد، للغزالي:**

وهو شرح لكتاب "قواعد العقائد"[6] لحجة الإسلام، أبي حامد بن أحمد الغزالي (٤٥٠هـ-٥٠٥هـ). والشرح ذكره صاحب النجوم الزاهرة [7]، وحاجي خليفة في كشف الظنون [8] والبغدادي في هدية العارفين [9]. وهو مفقود أيضًا.

وقد طبع الكتاب بليبسك عام ١٨٧٦م في نحو من سبعين صفحة، ومعه مقدمة وملاحظات بالألمانية، وطبع أيضًا بالمطبعة النموذجية بمصر سنة ١٣٦٨هـ. نشره وعلق عليه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

1- ينظر ٨/٥.

2- ينظر: ١/٤٩٩.

3- ينظر، ص ١٢٨٣.

4- ينظر: ١/٢٨٣.

5- ينظر: ٣/٢٩٦٧.

6- وهو كتاب في علم الكلام حققه الأستاذ سعيد زايد. وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٠ في (١٢٨) صفحة من القطع المتوسط

7- ينظر: ٩/٢٣١.

8- ص ١٣٥٨.

9- ينظر: ١/٢٨٣.

١٤- شرح قواعد العقائد النصيرية:

وهو شرح لكتاب "قواعد العقائد النصيرية" في علم الكلام، تأليف شيخه الخواجة نصير الدين الطوسي، كتب ركن الدين شرحه لولد أستاذه الطوسي في حياة الأستاذ، ذكر ذلك العاملي في أعيان الشيعة[1]. وهو مفقود.

١٥- شرح المطالع في المنطق -في مجلدين:

ذكر ذلك السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى"[2]، وكذلك ابن تغري بردي في "النجوم الزاهرة"[3]. وهو بعد مفقود.

١٦- شرح المعالم في أصول الدين

اختصر ركن الدين المعالم في أصول الدين، وشرحه. قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: "وقد وقفت عليه"[4] ولكنه لم يصل إلينا.

١٧- مرآة الشفاء في الطب:

1- ٢٣/١٤٦.

2- ينظر: ٩/٤٠٧.

3- ينظر ٩/٢٣١.

4- ٩/٤٠٧.

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون [1] ، والبغدادي في هدية العارفين [2] . وهو من الآثار المفقودة

١٨- **نهج الشيعة:**

ألفه باسم السلطان إدريس بها درخان . ذكر ذلك العاملي في "أعيان الشيعة" [3] . وهو مفقود لم يصل إلينا .

١٩- **الوافية في شرح الكافية (المتوسط) :**

وهو شرح ثالث على كافية ابن الحاجب ، ويعرف بين الدارسين بالمتوسط .

وسنفرد له حديثًا مستقلاً في موضعه من هذا البحث – إن شاء الله تعالى [4] ؛ إذ إنه من الآثار التي وصلت إلينا .

٢٠- له كتاب جمع فيه أسئلة كان قد سألها شيخه الطوسي ، وأجاب عنها . ذكر ذلك العاملي في "أعيان الشيعة" [5] . والكتاب من الآثار المفقودة .

1- ص ١٦٤٨ .

2- ١/ ٢٨٣ .

3- ٢٣/ ١٤٥ .

4- ينظر ص: ٩٧ .

5- ينظر: ٢٣/ ١٤٦ .

كتاب الشرح الصغير على كافية ابن الحاجب

توثيق الكتاب:

صنف ركن الدين على كافية ابن الحاجب ثلاثة شروح: كبير (وهو المسمى بالبسيط) وسيأتي الحديث عنه أيضًا؛ إذ إنهما من الكتب التي وصلت إلينا ولم تُعْدُ عليهما العوادي، وصغير لم يصل إلينا إلا اسمه، لأنه بعد مفقود.

والشرح الصغير هو الشرح الثالث لأبي عَلِيّ على الكافية، وهو شرح مختصر، كما قيل، ذكره السبكي (ت ٧٧١هـ) في كتابه "طبقات الشافية الكبير"[1] وذكره المقريزي (ت٨٤٥هـ) في كتابه "السلوك"[2] وذكره ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في كتابه "الدرر الكامنة"[3] وذكره ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) في كتابه "النجوم الزاهرة"[4] وذكره حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في كتابه "كشف الظنون"[5] وذكره إسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) في كتابه

1- ينظر: ٩/٤٠٧.

2- ينظر: ٢/١٥٨.

3- ينظر: ٢/١٧.

4- ينظر: ٩/٢٣١.

5- ينظر ص: ١٣٧٠.

"هدية العارفين"[1] وذكره العاملي في كتابه "أعيان الشيعة"[2] . وذكره بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" وأشار إلى وجود نسخة منه في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة برقم ١٥٥٥ نحو، وأحال إلى القاهرة ثان: (٢/١٣٠) وهو فهرس الخديوية الموجود بالدار، سنة ١٩٣٦م. وأشار إلى وجود نسخة أخرى له في ميونخ (برقم (٧١٥) .

وقد حصلت على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم (١٥٥٥ - نحو) والتي أشار إليها بروكلمان، وأيضًا حصلت بعد ذلك على النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنية في ميونخ بألمانيا والتي أشار إليها بروكلمان تحت رقم (٧١٥) .

وبعد: فهل الكتاب المحفوظ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، تحت رقم (١٥٥٥ - نحو)، والذي حصلنا على صورة ورقية له - هو الشرح الصغير لركن الدين الأستراباذي، أم أنه كتاب آخر والتبس الأمر على بروكلمان ومن تابعه من الباحثين المحدثين .

وأبادر فأقول إن هذا الكتاب ليس هو كتاب "الشرح الصغير" الذي صنفه ركن الدين، وإنما هو نسخة من نسخ شرح ابن الحاجب على كافيته، وهذه النتيجة قد وصلت إليها بعد رحلة طويلة قضيتها في دور الكتب والمكتبات العامة في مصر وخارج مصر (والخارج عن طريق المراسلة كما سأذكر) . وأرى أنه يتحتم علي قبل أن أتحدث عن رحلتي في توثيق الكتاب

1- ينظر: ١/٢٨٣ .

2- ينظر: ٢٣/٧٠ .

أن أشير إلى ما قاله هؤلاء الباحثون المعاصرون وقد سار وا وراء بروكلمان الذي سار بدوره وراء ما جاء في الفهرس دونا تحقيق، حيث جاء في فهرس المخطوطات بدار الكتب (حرف ش) – في التعريف بهذا الكتاب: "الشرح الصغير على كافية ابن الحاجب تأليف: ركن الدين الحسن بن علي بن شرف شاه العلوي الحسيني الأسترابادي المتوفي سنة ٧١٥هـ، نسخة في مجلد بقلم معتاد، في (١٨٠ق) برقم (١٥٥٥/ نحو). عدد الأسطر (١٧) سطرًا. مكتوبة سنة ٧٣١هـ)، وبهامشها تغييرات كثيرة".

١- ذكر جمال مخيمر (محقق شرح الكافية لابن الحاجب) الشرح الصغير وأشار إلى وجود نسخة له في دار الكتب تحت رقم ١٥٥٥/ نحو)، وذلك وهو بصدد الحديث عن شروح الكافية[1]، وقال في التعليق على الكتاب: "عثرت على نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٥٥/ نحو، خطت سنة ٧٣١هـ ناقصة من بدايتها صفحة واحدة، وعلى هوامشها تقييدات كثيرة"[2]. والحق أنه لم يطلع عليها واكتفى بالنظر في الفهرس.

1- مقدمة التحقيق، ص٢٩.

2- هامش رقم (٨) من المصدر السابق.

٢- وقال خالد فائق محمود (محقق كتاب الوافية) –وهو بصدد سرد شروح الكافية: " . . . والشرح الصغير لركن الدين الأستراباذي . وقد بحثت رقم (١٥٥٥/ نحو)، وبعد الاطلاع عليه وجدته ناقصًا ثلاث ورقات ونصف "[1] والحق أنه لم يطلع عليه، إذ إن الكتاب ينقص صفحة واحدة فقط من أوله، ليس ثلاث ورقات ونصف –أي ٧ صفحات– كما زعم الرجل.

٣- ذكره طارق عبد عون الجنابي في رسالته (ابن الحاجب النحوي: آثاره ومذاهبه وأشار إلى وجود نسخة منه في دار الكتب تحت الرقم المذكور (١٥٥٥/ نحو) وجاء ذكره إياه وهو بصدد سرد شروح الكافية".

٤- ذكره طارق نجم عبد الله (محقق الكافية)، حيث قال –وهو بصدد سرد شروح الكافية: "الشرح الصغير لركن الدين الحسن بن محمد الأستراباذي المتوفى سنة ٧١٥ هـ، ومنه نسخة في ميونخ برقم (٧١٥)، وأخرى بدار الكتب برقم (١٥٥٥ نحو)"[2].

٥- ذكره أيضًا عبد الحفيظ شلبي عند تقديمه للنسخة التي طبعتها سلطنة عمان، عن نسخة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، حيث قال: "وأما

1- مقدمة تحقيق الوافية، ص(٢٢).

2- مقدمة التحقيق، ص ٣٩.

الشرح الصغير فموجود منه بدار الكتب المصرية نسخة واحدة تحت رقم (١٥٥٥) نحو" .

٦- قال محمود عبد المنعم سيد محمود (محقق البسيط) عند حديثه عن مؤلفاته : " شرح الصغير : وقد جاء في التعليق على كتاب النجوم الزاهرة : " إنه توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٥٥) نحو . وقد طلبتها تحت الرقم المذكور ، فلم أجدها "[1] . والحق أنه مقصر في طلبها ، إذ إنها موجودة تحت الرقم المذكور .

٧- ذكره محقق الفوائد الضيائية للجامي ، وأشار إلى وجود نسخه منه تحت الرقم المذكور ، بدار الكتب المصرية (وهو رقم ١٥٥٥/ نحو) .

٨- بالإضافة إلى أنه جاء في التعليق على النجوم الزاهرة[2] ، ما نصه : " توجد من الشرح الصغير نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٥٥/ نحو) .

والآن ، وبعد هذا العرض لأقوال الباحثين المعاصرين ، بشأن الكتاب أود أن اعرض — ولو بإيجاز شديد — خلاصة رحلتي في توثيق الكتاب :

---

1 - مقدمة التحقيق : ١/ ٢٩ .

2 - هامش رقم (٧) : ٩/ ٢٣١ .

١- بعد حصولي على صورة ورقية من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت الرقم المذكور (١٥٥٥/نحو)، أخذت في البحث والتنقيب في فهرس الدار عن نسخ أخرى للكتاب تساند هذه النسخة التي حصلت عليها . إلا أن محاولتي هذه باءت بالفشل، ولم أجد في الفهرس ما أبحث عنه .

٢- كان لزامًا عليَّ بعد ذلك أن أبحث وأكرر البحث عن نسخ أخرى في مكتبات العالم: فأرسلت للمتحف البريطاني بلندن، ومعهد جوته بألمانيا ومعهد المخطوطات بالكويت، ومكتبة الأحقاب بتريم باليمن الجنوبي، واستانبول لاستفسر منهم عن وجود نسخ لهذا الكتاب عندهم، فكانت إجابتهم بالنفي عدا اليمن الجنوبي الذي لم يكلف نفسه عناء الرد .

٣- عدت للبحث في المكتبة الأزهرية ومكتبة البلدية بالأسكندرية، ومعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالمهندسين/ بالقاهرة، ولكن باءت محاولاتي بالفشل ولم ولم أجد هذا الكتاب بين المحفوظات .

٤- عدت إلى دار الكتب المصرية، لأكرر محاولة البحث والتفتيش والتنقيب وأخذتْ محاولتي هذه المرة شكلاً جديدًا؛ حيث قمت — وساعدني في ذلك السادة الموظفون في قسم المخطوطات بالدار — قمت بعمل حصر شامل لكل شروح الكافية الموجودة بالدار، ما عرف مؤلفه منها وما جهل، وجمعت الصور

الميكروفيليمة لجميع هذه الشروح؛ حيث استغرق هذا المسح الشامل ما يقرب من شهر معايشةً تامة للدار – وكان أملي أن أجد نسخة أخرى تعضّد التي في حوزتنا، خاصة وأنها تنقص صفحة من بدايتها، وليس بها عنوان أو توثيق أو ذكر لمصنّفها.

٥- كان من نتائج هذه الجولة بالدار أن وجدت ثلاث نسخ من شروح الكافية لم يعلم مؤلفها، وعلى غلافها شرح الكافية لمجهول، وهذه النسخ الثلاث وجدتها مطابقة تمام التطابق للنسخة التي في حوزتنا والتي هي منسوبة لركن الدين، وهي خالية من المقدمة، وتبدأ بالشرح مباشرة فسعدت بهذا سعادة غامرة، إذ إنه قد اجتمع لديَّ من هذا الكتاب أربع نسخ (والنسخ الثلاث، أرقامها: ١٢١٢هـ، ٥٧٢٧هـ، ٩٠٤٦هـ وأوراقها بالترتيب ١١٨ق، ٧٧ق، ٩١ق).

٦- أخذت في متابعة البحث والتحري عن نسخ أخرى، فبعد أن أتيت على آخرها، لم يكن يتبقى أمامي سوى شرح ابن الحاجب على الكافية فطلبت النسخ الثمانية الموجودة بالدار، وقرأتها جميعا على جهاز الميكروفيلم فكانت المفاجأة؛ إذ إنها نسخ مطابقة تمام التطابق للنسخ الأربع التي معي.

٧- اجتمع لدي آنذاك عدد (١١) نسخة لكتاب واحد: (٨) منسوبة لابن الحاجب في الفهرس وكذا على غلاف النسخ + (٣) مجهولة المؤلف؛ إذ لا يوجد اسم المؤلف في الفهرس ولا عن الغلاف وإنما هي منسوبة لمجهول + (١) نسخة منسوبة لركن الدين

وهي كما قلنا – نسخ متعددة لكتاب واحد ، قد يكون لابن الحاجب وقد يكون لركن الدين . فكان عليّ أن أقرأ كل هذه النسخ قراءة واعية متأنية لعلّي اجد أي ضبط يوصلني إلى معرفة المؤلف الحقيقي بصورة قاطعة .

٨- وجدت من بين هذه النسخ الثمانية المنسوبة لابن الحاجب نسخة مكتوبة بخط ابن الحاجب نفسه ، كتبها سنة ٦٢٤هـ ، جاء في ورقة العنوان ما نصُّه : "شرح ابن الحاجب على كافيته ، بخطّه . وبجوار هذه العبارة عبارة أخرى ، هي : "شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب : تأليف الشيخ الإمام العلامة علم المحققين ولسان المتكلمين جمال الدين المعروف بابن الحاجب – رحمه الله" . وكتب على نفس الورقة تاريخ نسخها على لسان مؤلّفها ابن الحاجب ، وبخطه ، فقال : "كان الشروع في هذه النسخة المباركة المستعان بها إن شاء الله ، شرعت فيها على عجلة مني يوم الإثنين في بواقي خمسة أيام من شهر جمادي الأول من شهور سنة ٦٢٤هـ ، لمالكها ومؤلفها وخطّه ، الفقير إلى الله الراجي عفو الله الهادي أبي عمرو عثمان بن عمر المالكي المعروف بابن الحاجب وفقه الله تعالى لما يحب ويرضى بالقرآن العظيم والنبي الكريم . . آمين" .

وجاء في الصفحة الأخيرة ، ما نصُّه : "تمّ الكتاب بحمد الله العزيز الوهاب وحسن توفيقه ، فله الحمد والشكر ، وأنا أسأله التوفيق "ابن الحاجب" .

٩- أصبحت متأكدًا شبه تأكيد من أن هذه النسخ جميعًا نسخٌ لشرح ابن الحاجب على كافيته ، ولكني بحاجة إلى مزيد من الاطمئنان ، فعدت إلى جامعة الأزهر لأطلع على شرح ابن الحاجب الذي حققه الأستاذ جمال عبد العاطي مخيمر لينال به درجة الدكتوراه ، فوجدته قد اعتمد على هذه النسخ الثمانية ، ولم يفطن إلى النسخ الأربع الأخرى ؛ لأن منها ما هو مجهول المؤلف ، وواحدة منسوبة لغيره وهو ركن الدين .

١٠- عدت لأوثق الكتاب بصورة نهاية من خلال الخصائص التفكيرية ، والنصوص المأخوذة من شرح الكافية للمصنف ، فاطلعت على هذه النصوص في النسخة التي معنا (١٥٥٥/ نحو) فوجدتها بنصّها ، فتأكدت بصورة قاطعة من أن هذه النسخة الموجودة بالدار تحت رقم (١٥٥٥/ نحو) والتي في حوزتنا والمنسوبة لركن الدين ما هي إلا واحدة من نسخ متعددة لشرح الكافية لمصنفها . وإليك نصين من هذه النصوص ، أذكر واحدًا منها وأحيل إلى الآخر إيثارًا للإيجاز .

قال ركن الدين في البسيط : (٢ / ٦٠) —في باب أسماء الأفعال ما نصه : "وقال المصنف في الشرح : لو قيل أن هذه الصيغة عل أمر الثلاثي لم يكن بعيدًا . . . "

وجاء في لوحة (١٠٠) من نسخة دار الكتب التي معنا برقم (١٥٥٥/ نحو) ، ما نصّه : "ولو قيل إن هذه الصيغة فعل أمر من الثلاثي لم يكن بعيدًا . . . " .

وقال ركن الدين في الوافية (ص ١٥٥ ، ١٥٦) ما نصُّه : " قوله : وما أجازه

الكوفيون . هذا جواب عن سؤال وَرَدَ على ما ذكره من قبل ، وهو أن شرطَ الإضافة تجريدُ المضاف من حرف التعريف والكوفيون يقولون : الثلاثة الأثواب ، والأربعة الدراهم والخمسة الكتب .

وأجاب عنه المصنف بأنه ضعيف ، لمخالفته القياس واستعمال الفصحاء لأن استعمال الفصحاء : ثلاثة الأبواب . قال ذو الرمة ، شعرًا :

وَهَلْ يُرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَدْفَعُ الْبُكَا ... ثَلَاثُ الْأَثَافِي وَالدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ

وقال الفرزدق شعرًا :

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ ... فَسَمَا وَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ

وجاء في اللوحة (٦٥) من النسخة نفسها ، ما نصُّه : " قوله : وما أجازه الكوفيون من الثلاثة الأثواب ، وشبهه من العدد ضعيف ؛ لأنهم جمعوا بين التعريفين ؛ الإضافة إلى المعرفة ، ودخول الألف واللام في المضاف ، وليس بمستقيم ؛ لمخالفته القياس واستعمال الفصحاء . أما القياس ؛ فلما ذكرناه . وأما استعمال الفصحاء ؛ فالمسموع منهم ثلاثة الأثواب قال ذو الرمة :

..... ثَلَاثُ الْأَثَافِي وَالدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ

وقال الفرزدق :

..... فَسَمَا وَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ

والذي غرَّ الكوفيين ما نقل عن قوم غير فصحاء . ووجهه في القياس ضعيف " .

والآن وبعد كل ما ذكرناه أستطيع أن أجزم جزمًا قاطعًا بأن تلك النسخة الموجودة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم (١٥٥٥/ نحو) والمنسوبة لركن الدين الأستراباذي على أنها كتاب "الشرح الصغير على الكافية" ، إن هي إلا واحدة من نسخ شرح ابن الحاجب على كافيته . وأما كتاب " الشرح الصغير " فهو بعد مفقود ، شأنه في ذلك شأن غيره من مصنفات تراثنا العربي والإسلامي التي عَدَتْ عليها العَوَادِي ولم تصل إلينا .

ويمكن أن نلتمس العذر لهؤلاء الباحثين المحدثين ؛ إذ إن الكتاب ينقص صفحة من بدايته ، ولا يوجد به أي توثيق على الغلاف ، أو بداخله أو حتى في نهايته ، فتابعوا بروكلمان في ذلك وهم مطمئنون .

- وأما عن نسخة ميونخ التي أشار إليها بروكلمان تحت رقم (٧١٥) على أنها نسخة من كتاب الشرح الصغير ، فقد أرسلت في طلبها إلى المكتبة الوطنية في ميونخ بألمانيا تحت الرقم المذكور ، فإذا بها نسخة من نسخ شرح الكافية للرضي الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) تقع في (٤٠٩) ق من القطع الكبير (٨١٨ص) ، بالحة (٣٣) سطرًا بالسطر (١٢) كلمة تقريبًا .
- عدتُ إلى بروكلمان مرة أخرى لأقف منه على جديد ، وأعرف منه من أين نشأ

- اللبس، فاكتشفت أن بروكلمان أيضًا قد التبس عليه الأمر، ولم يفرّق بين أستراباذيٍ وآخر؛ إذ إنه — وهو بصدد الحديث عن شروح الكافية في كتابه، قد اختلط عليه الأمر، فذكر ما نصّه:

- الشرح الصغير (الأصغر)، لركن الدين الأستراباذي، توجد منه نسخة في ميونخ تحت رقم (٧١٥)، ووضع علامة استفهام بجوار الرقم.

- شرح الرضي الأستراباذي، توجد منه نسخة في ميونخ تحت رقم (٧١٥).

فقد ذكر ثلاثة كتب تحت رقم واحد وهو (٧١٥) في مكتبة ميونخ وحقيقة الأمر أنه كتاب واحد وهو شرح الرضي. أما الشرحان الآخران فلا يوجدان هناك.

وأحسب أنني قد قطعت الشكّ باليقين ههنا، وأعدتُ الحقَّ إلى أصحابه، وكشفت الخطأ الذي وقع فيه المستشرق الألماني كارل بروكلمان — ومن تابعه — في نسبته هاتين النسختين لركن الدين الأستراباذي على أنهما نسخ لكتاب الشرح الصغير، استنادًا منه على أن هاتين النسختين لا يوجد على غلافهما توثيق أو نسبة إلى مؤلف بعينه وأوضحتُ بما لا يدعُ مجالاً للشكّ أن الأولى إن هي إلا واحدة من نسخ شرح ابن الحاجب على كافيته، والثانية شرح للرضي على الكافية، وسوف نرفق بهذا الورقةَ الأولى والأخيرة من نسخة ميونخ التي حصلنا عليها، ندعم بها ما قلناه.

■ ما وصل إلينا من مصنّفاته.

وصل إلينا من مؤلفات عالمنا – رحمه الله – المصنّفاتُ التالية :

١- كتاب البسيط ، وهو شرح كبير على كافية ابن الحاجب .

٢- كتاب الوافية في شرح الكافية ، وهو معروف بين العلماء باسم المتوسط .

٣- شرح شافية ابن الحاجب في الصرف .

وفي هذه العجالة نقدم تعريفاً مفصّلاً بهذه المصنفات ونذكر مخطوطاتها ونعرّف بأماكن وجودها ، وننصّ على ما طبع منها ، ومكان طبعته وسبب تأليفها ، وأيضا نلقي الضوء على ماهية كل مؤلف ومحتواه ونكشف النقاب عن أهم ما يميّز به بين مؤلفات العربية ومصنّفاتها .

على أن نقوم في الفصول التالية بدراسة هذه المصنفات ، والتعرف على منهجه في معالجة القضايا النحوية ، والوقوف على مذهبه النحويّ – أو نقول : الوقوف على انتمائه المذهبي – والتعرّف على مصطلحاته التي استعملها ، ودراسة الشواهد النحوية عنده ، سواء كانت من القرآن أو من كلام العرب بنوعيه ونفرد فصلاً للوقوف فيه على الجانب الصرفيّ ، والتعرّف على مدى ما قدّمه للدراسات النحوية والصرفية من إسهامات .

١) كتاب البسيط

وهو شرح كبير صنّفه الإمام ركن الدين الأستراباذي على كتاب (الكافية)[1] لصاحبه الإمام ابن الحاجب – رحمه الله تعالى .

1- الكافية : مختصر تعليمي في النحو ، حذا فيه مؤلفه حذو الزمخشري في مفصله – في الغالب – ولكنه امتاز عن الزمخشري بجعله موضوعات الكافية نحوية محضة ، وأفرد للموضوعات الصرفية كتابًا خاصًا هو (الشافية) ، بعكس الزمخشري الذي جمع في مفصله بين الموضوعات النحوية والموضوعات الصرفية – كما فعل سيبويه في كتابه – وبهذا يكون ابن الحاجب قد انتهج منهجًا جديدًا يقوم على التخصيص التأليفي .

ومما يلاحظ أن الكافية خالية من المقدمة ، خالية من الحمدلة ، وقد أشار إلى ذلك الجامي في مقدمة كتابه "الفوائد الضيائية ، واعتذر له ، بقوله : "اعلم أن الشيخ – رحمه الله – لم يصدّر رسالته هذه بحمد الله سبحانه ، بأن جعله جزءًا منها هضمًا لنفسه بتخييل أن كتابه هذا من حيث إنه كتابه ليس ككتب السلف – رحمهم الله تعالى – حتى يصدّر به على سنَنِها ، ولا يلزم من ذلك عدم الابتداء به مطلقًا حتى يكون بتركه أقطع ، لجواز إتيانه بالحمد من غير أن يجعله جزءًا من كتابه . وبدأ بتعريف الكلمة والكلام ؛ لأنه يبحث في هذا الكتاب عن أحوالها ؛ فمتى لم يعرفا كيف يبحث عن أحوالها ، وقدم الكلمة على الكلام ؛ لكون إفرادها جزءًا من إفراد الكلام ، ومفهومه جزءًا من مفهومه" .

وهذا الكتاب مع وجازته واختصاره جامع لكل مسائل النحو وقضاياه ، وقد أعجب العلماء به في كل العصور والأمصار ، وشحذ قرائح الشعراء فقال فيه بعضهم شعرًا :

مَا أَبصَرَتْ عَيْنٌ بِمِثْلِ الْكَافِيَةْ ... مَجْمُوعَةً تُدْرِي الْمَآرِبَ شَافِيَةْ

يَا طَالِبًا لِلنَّحْوِ إِلْزَمْ حِفْظَهَا ... وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّهَا لَكَ شَافِيَةْ

وقال الآخر :

صَاغَ الإِمَامُ الْعَالِمُ ابْنُ الْحَاجِبِ ... دُرَرًا فَأَخْفَاهَا كَكَنْزِ الْحَاجِبِ

وهو شرح كبير حاول فيه ركن الدين – على حدّ تعبيره – تفسير مشكلات الكافية وشرح معضلاتها ، وإيضاح إشاراتها ورموزها ، وإبراز ما تحتها من دفائنَ وكنوزٍ بعبارات واضحة وألفاظ لائحة جلية .

لما تَوَاتَرَ حُسْنُها بَيْنَ الْوَرَى قَالَتْ أَنَا السِّحْرُ الْحَلَالُ فَحَاجِبِي

ونظرًا لإعجاب العلماء بها أقبلوا عليها بالشروح والتعليقات والاختصارات والنظم وقد أحصيت لها (: ١٥) ما بين شرح ومختصر ومنظومة عليها لأفاضل العلماء منذ عصره وحتى الآن ولا أجد هنا متسعًا لعرضها أو تفصيل القول فيها .

(وللوقوف عليها ينظر : كشف الظنون : ١٣٧٠ – ١٣٧٦ ، وتاريخ الأدب العربي : ٥ / ٣٠٩ – ٣٢٦ ، وابن الحاجب النحوي : آثاره ومذاهبه ، ومقدمة تحقيق الفوائد الضيائية : ١ / ٣١ – ٤١) .

ويوجد للكافية (٢٤) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، أرقامها : ٤٠٩ نحو ، ٢٥٥ نحو ، ٤٥٠ نحو ، ٥٨٣ نحو ، ١٠٦٥ نحو ، ١٠٦٦ نحو ، ١١٧٩ نحو ، ١١٩٣ نحو ، ١٤١٥ نحو ، ١٥٩٩ نحو ، ٥١٢٩هـ ، ١٤ تحو تيمور ، ٣٢٢ نحو تيمور ، ٤١٤ نحو تيمور ، ٥٠١ نحو تيمور ، ٣٧ ، نحو خليل أغا ، ٣٨ نحو خليل أغا ، ٣٤٢ نحو طلعت ، ٢٧٥ق ، ٢٧٩ ق ، ٢٧٧ ق ٦٣ م .

وأشار بروكلمان في كتابه (٥ / ٣٠٩) إلى أن مخطوطاتها منتشرة في كل مكتبة من مكتبات العالم تقريبًا .

وطبعت في روما سنة ١٥٩٢ هـ ، وفي كونبور سنة ١٨٨٨م ، سنة ١٨٩١م ، وفي قازان سنة ١٨٨٩م ، وفي طشقند سنة ١٣١١هـ ، وسنة ١٣٢١هـ ، وفي الآستانة سنة ١٢٣٤هـ ، وسنة ١٢٤٩هـ ، وسنة ١٢٦٤هـ ، ١٢٦٦ هـ ، ١٢٧٣هـ ، ١٢٧٤هـ ، ١٢٧٦هـ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢هـ ١٢٨٣هـ ، ١٢٨٤هـ ، ١٣٠٧هـ ، وفي كونبور سنة ١٢٨٤هـ ، ١٢٨٩هـ ١٢٩١هـ ، وفي دهلي سنة ١٢٧٠هـ ، ١٢٨٩هـ ، ١٣٠٦هـ ، وفي نظامي سنة ١٢٩٠هـ ، وفي بومباي سنة ١٣١١هـ ، وفي لكنو سنة ١٣١١هـ (مع ترجمة بالفارسية) ، وفي كلكتا سنة ١٨٠٥م ، ١٢٦٨هـ ، ١٢٩١هـ ١٣٠٩هـ ، وفي بولاق سنة ١٢٤١هـ ، ١٢٤٧هـ ، ١٢٥٥هـ ، ١٢٦٦هـ .

- تحقيق اسم الكتاب:

اسم هذا الكتاب هو (البسيط) غير أننا قد نجده أحياناً يطلق عليه اسم (الشرح الكبير) فما حقيقة هاتين التسميتين ؟

أبادر فأقول إن اسمه هو كتاب (البسيط) كما جاء في كشف الظنون[1] وكذلك في هدية العارفين[2]، وفي أعيان الشيعة[3].

وكذلك جاء هذا الاسم عنواناً للكتاب على غلاف ثلاث نسخ خطية؛ الأولى محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (٦٣٦) ٤٣٢٩، والثانية: محفوظة كذلك في المكتبة الأزهرية تحت رقم (٦٣٤) ٤٣٢٧، والثالثة: محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، تحت رقم (٣٢٩).

ولأجل أنه شرح كبير على الكافية نرى من يكتفي بأن يطلق عليه اسم (الشرح الكبير)؛ إذ إن للرجل على الكافية ثلاثة شروح: كبير ومتوسط وصغير. وهذه التسمية أطلقها صاحب النجوم الزاهرة[4] وكذا صاحب طبقات الشافعية الكبرى[5].

1- ص ١٣٧٢.

2- ١/٢٨٣.

3- ٢٣/٧٠، ١٤٥.

4- ٩/٢٣١.

5- ٩/٤٠٧.

ومثل ذلك جاء على غلاف نسخة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٣ / هـ .

هذا ولم يرد في مقدمة المؤلف ولا في آخره شيء عن تسمية الكتاب .

- توثيق نسبته إلى ركن الدين:

هذا الكتاب ذكره جمهرة من المترجمين ونسبوه إلى ركن الدين ، نذكر من هؤلاء : السبكي [1] والمقريزي [2] ، وابن حجر [3] ، وابن تغري بردي [4] ، وحاجي خليفة [5] والبغدادي [6] ، والعاملي [7] .

وجاء في التعريف بالكتاب في فهرس الكتب الموجودة في المكتبة الأزهرية (٤ / ١١٦) ما نصُّه : البسيط : وهو شرح للعلّامة السيد ركن الدين حسن بن شرف شاه الحسيني العلوي المعروف بالأستراباذي المتوفى سنة ٧١٥ هـ على الكافية لابن الحاجب ، وهو المعروف بالشرح

---

1 - في طبقات الشافعية الكبرى : ٩ / ٤٠٧ .

2 - في السلوك : ٢ / ١٥٨ .

3 - في الدرر الكامنة : ٢ / ١٦ .

4 - في النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٣١ .

5 - في كشف الظنون : ١٣٧٢ .

6 - في هدية العارفين : ١ / ٢٨٣ .

7 - في أعيان الشيعة : ٢٣ / ٧٠ ، ١٤٥ .

الكبير، وأوّله: أما بعد حمد الله المتفرّد . . . إلخ" .

وكذلك جاء على غلاف مخطوطات الكتاب الثلاث: "كتاب البسيط لركن الدين الأستراباذي على كتاب الكافية" . وجاء على غلاف النسخة الرابعة ما نصّه: الشرح الكبير لركن الدين على الكافية الحاجبية .

وقد ذكره ركن الدين نفسه — وهو بصدد التقديم لكتابه الوافية؛ حيث قال: "وبعد: فإني بعد أن شرحت كتاب الكافية في النحو مع إيرادات وأجوبة وأبحاث كثيرة شرحته ثانيًا مقتصرًا على حلّ ألفاظه وشرح معانيه والإشارات إلى تحليلات تركيباته ومبانيه إلا نادرًا، مع ذكر علل أكثرها . . . " .

ونختم هذه المسألة بتوثيق ركن الدين لكتابه هذا في مقدّمة كتابه؛ حيث قال: "أمّا بعد حمد الله المتفرّد بالعزّ والجبروت والمتوحّد بالملك والملكوت الواجب الذي لا يحول حوله الإمكان والقيّوم الذي هو منزّه عن الزمان والمكان، الكامل الذي تتوجّه إليه الرغبات . . . فإنّ كتاب الكافية في النحو المنسوب إلى الإمام العلامة جمال الدين أبي عمرو عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب المغربي — رحمه الله وجعل الجنّة مثواه — كتاب صغير الحجم كثير العلم لاشتماله على جُلّ أقوال النحويين، مع زيادات شريفة وأبحاث نفيسة وقواعد لطيفة وضوابط كلية استقلّ بإبداعها مصنّفه . لكن لما كان في عباراته انغلاق وفي ألفاظه إيجاز صعب على الطالبين فهم مقاصده وعسر على المبتدئين استخراج مطالبه، مع أن مؤلّفه — رحمه الله — شرحه شرحًا

أشكل من الكتاب ، ولولا ذلك الشرح لما أمكن تحليل الكتاب . فالتمس مني وألح المجلس الرفيع وهو المولى العالم الفاضل ربيب الدولة ورئيس الملّة وقدوة الحكماء والأطباء ، الفاضل ، قبلة الأكابر والفضلاء الأماثل – بلغه الله مطالبه وجعل في لدارين مآربه – فسر مشكلاته وشرح معضلاته وإيضاح إشاراته ورموزه ، وإبراز ما تحته من دفائنه وكنوزه ، بعبارات واضحة وألفاظ لائحة ، فأبيت عن ذلك لقصوري واعترافي بعجزي عن فهم ما أودعه فيه من النكت والغرائب التي خلت منها مصنّفات القوم في هذا الفن . لكن لما كرّر الالتماس وأكثر الإلحاح وكلّفني تكليفاً لا يمكن المحيص عنه ، استخرت الله تعالى وشرعت فيما التمسه مني وكتبت ما وصلت إليه قريحتي وذهني ، وسألته أن يهديني سواء السبيل وأن يجنّبني طرق الأباطيل .

– مخطوطاته :

يوجد لهذا الكتاب أربع نسخ خطّية ؛ ثنتان بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة وثنتان بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية . وهاك وصفاً عامّاً لهذه النسخ الأربع :

أ – في المكتبة الأزهرية :

١ . نسخة في مجلد بقلم تعليق قديم كتبت سنة ٧٠٣ هـ – أي : في حياة المؤلّف – بخطّ عليّ بن موسى بن منصور الشهرستاني ، وعنوانها : "البسيط ، لركن الدين الأستراباذيّ" . وهي نسخة خطية محفوظة بالمكتبة تحت رقم (٦٣٦ / ٤٣٢٩) وعدد لوحاتها (٢٠٨) لوحة ، باللوحة صفحتان ، مسطرتها ١٧ سطرًا ، وبهامش

بعض أوراقها حواشٍ . وآخرها قوله : " وليكن آخر كلامنا هذا الفصل وبه يتمّ الكتاب ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب والواجب بوجود الحمد بلا حدّ ونهاية ، ولنبيّه محمد وآله الصلوات التحيات بلا عدّ وغاية ، والحمد لله ربّ العالمين " .

٢ . النسخة الثانية : نسخة في مجلد بقلم معتاد قديم خطّت سنة ٧٩٢هـ ، وعدد لوحاتها (١٨٠) لوحة ، باللوحة صفحتان ، مسطّرتها (٢٥) سطرًا ، وبهامشها بعض تعليقات ، وفي بعض أوراقها تقطيع وترميم وبها آثار رطوبة ، وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم (٦٣٤ / ٤٣٢٧) بعنوان " البسيط " ولم يعلم الناسخ .

ب – في الخزانة التيمورية :

١ . نسخة خطّت بخطّ واضح مع وجود بعض كلمات مطموسة . كتبها ابن أمير حسيني حسن الحسيني سنة (١٠٩٧هـ) . وعدد صفحاتها (٥٣٤) صفحة من القطع الكبير . وهي محفوظة بالدار تحت رقم (٣٢٩) تحت عنوان " البسيط " أيضًا .

٢ . أخرى محفوظة أيضًا بالخزانة بالدار برقم (٥٦٣هـ) في (٤٦٣) صفحة ، وعنوانها : الشرح الكبير لركن الدين علي الكافية الحاجبية . ولم يعلم الناسخ ولا السنة التي نسخت فيها .

ج – نسخ أخرى للكتاب :

وثمة نسخ أخرى للكتاب ذكرها بروكلمان في كتابه[1] وأشار إلى أماكن وجودها ، وها هي :

---

1 – ينظر : تاريخ الأدب العربي : ٥ / ٣٢١ .

١. نسخة في بطرسبرج برقم (١٦٩) .

٢. أخرى في المكتب الهندي (وأشار إلى فهرس المكتبة العربية ص ٩١٢ – ٩١٦) .

٣. ثالثة في نيكيبور برقم (٢٠ / ٢٠٤٩) .

٤. رابعة في بون برقم (٢٩١) .

٥. خامسة في الأسكوريال ثان برقم (٩٤) .

٦. سادسة في مكتبة سليم أغا (وأشار إلى الفهرس ص ١١٥٦ – ١١٥٧) .

- **طباعته:**

أشار بروكلمان إلى أنّ هذا الكتاب طبع في لكنو سنة (١٢٨٠ هـ) ولم أعثر هذه النسخة المطبوعة ولا على أية نسخة مطبوعة أخرى .

وقد قام بتحقيق الكتاب الباحث عبد المنعم محمود علي سعيد وحصل به على درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف .

- **ما يمتاز به هذا الكتاب:**

يُعَدُّ هذا الكتاب من أهمّ الشروح التي صنّفت على كتاب الكافية ؛ وذلك لما يمتاز به من ميزات وسمات أهّلته لأن يحتلّ هذه المكانة الكبيرة منها وضوح الأسلوب الفلسفي فيه وغلبة المصطلحات المنطقية . وهو كتاب جامع لمسائل النحو وأبحاثه .

وقد اعتمد مؤلّفه على السرد والتساؤل بطريقة جذابة مكثرًا فيه من ذكر ما يمكن أن يتصوّر من الاعتراضات على المسألة النحوية الواحدة مجيبًا عليها إجابة تدلّ على عبقريّته ورجاحة عقله وقوة فهمه بأسلوب تعليميّ ميسّر .

---

٢) كتاب المتوسط:

- تعرف بالكتاب:

كتاب ((الوافية في شرح الكافية)) المعروف بين الدارسين بالمتوسط هو شرح ثان للعلامة ركن الدين صنّفه على كتاب الكافية، بعد أن صنف شرحه الكبير المعروف بالبسيط – الذي تحدثنا عنه منذ قليل.

وقد ابتعد فيه مصنفه عن المماحكات اللفظية والقضايا المنطقية الجدلية، وقد اقتصر فيه على حلّ ألفاظ الكافية، وشَرْح معانيها، وتحليل تركيباتها ومبانيها، وقد صرح بهذا بنفسه في مقدمة الكتاب، حيث قال – بعد حمد الله تعالى، والصلاة على رسوله الكريم – عليه الصلاة والسلام: ((. . . وبعد فإني بعد أن شرحتُ كتاب الكافية في النحو مع إيرادات وأجوبة وأبحاث كثيرة شرحته ثانيًا مقتصرًا على حلّ ألفاظه وشرح معانيه.

والإشارة إلى تحليل تركيباته ومبانيه إلا نادرًا، مع ذكر علل أكثرها))[1].

وجعله لرسم خدمة الأمير يحيى بن إبراهيم ملك خُتَن، ونصّ على ذلك في المقدمة أيضًا، حيث قال: ((وجعلته لرسم خدمة الأمير الأكبر العالم الفاضل الكامل، سلالة الأمراء والوزراء مفخرة العرب والعجم، ناصر الدولة والدين، شمس الإسلام والمسلمين، يحيى بن المخدوم

---

1 – مقدمة الوافية، ص١.

المعظم ، ملك صلاح العالم والوزراء ، صاحب السيف والقلم ، جلال الدنيا و الدين ، إبراهيم ملك ملوك الخُتَنى ، أعزَّ الله أنصارهما ، وضاعف اقتدارهما بسبب اشتغاله بهذا الكتاب الذي هو دستور في هذا الفن الأول لذوي الألباب))[1] .

- **تحقيق عنوانه ، وتوثيق نسبته إلى ركن الدين :**

هذا الكتاب مشهور بين الدارسين والعلماء ، ومتداول بينهم باسم (المتوسط) ؛ وذلك لأنه وسط بين شرحين : الشرح الكبير (البسيط) والذي تحدثنا عنه منذ قليل – وشرح آخر اسمه (الشرح الصغير) وهو مفقود ، كما بينا .

وقد سماه ركن الدين " الوافية في شرح الكافية " وصرح بذلك في مقدمته حيث قال : ((وسميته : الوافية في شرح الكافية ؛ لكونه وافيًا بحلّ ألفاظه وشرح معانيه))[2] .

وجاء على غلاف النسخة التي طبعت عن وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان {١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م} ، والتي طبعت عن نسخة خطيه محفوظة بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة هناك ، جاء ما نصّه : ((الوافية في شرح الكافية : تأليف : العلامة ركن الدين الحسن بن محمد ابن شرف شاه العلوي الأستراباذي)) .

وقد نقل الإمام الفاكهي – رحمه الله – نصًا عن هذا الكتاب في كتابه : ((كشف النقاب

1- المصدر السابق .

2- الوافية ، ص١ .

عن محذرات ملحة الإعراب »[1]، في باب ما لا ينصرف – بشأن منع صرف ما جاء مماثلا في وزنه فعلان، حيث قال: « والمانع له من الصرف الصفة، وزيادة الألف والنون. ومن اشترط وجود فَعْلَى ليس شرطا بالذات، بل لكونه مستلزمًا لانتفاء فعلانة الذي هو شرط الذات »[2].

والنصُّ في الوافية، ص٣٧، وفيها ما نصُّه: « . . . والأول هو الحقّ؛ لأن وجود فَعْلَى ليس مستلزمًا بالذات، بل لكونه مستلزمًا لانتفاء فعلانة الذي هو شرط بالذات ».

أما عن التوثيق التاريخي، فقد جاء في كثير من كتب التراجم باسم (المتوسط)، حيث ذكره السبكي[3] ضمن مؤلفات ركن الدين، وكذلك ذكره المقريزي[4]، وابن حجر[5] وابن تغري بردي[6]، وحاجي خليفة[7]، والبغدادي[8]، والعاملي[9].

1- وقد قمنا بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه، وحصلنا به على درجة الماجستير في دار العلوم سنة ١٩٨٨م.

2 - النصُّ في ص٣٩٦ في كتاب ((كشف النقاب . . .)).

3 - في طبقات الشافعية الكبرى ٩/٤٠٧.

4 - في السلوك: ٢/١٥٨.

5 - في الدرر الكامنة: ٢/١٦.

6 - في النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣١.

7 - في كشف الظنون: ١٣٧٢.

8 - في هدية العارفين: ١/ ٢٨٣.

9 - في أعيان الشيعة: ٢٣/ ٧٠، ١٤٥.

- أهمية هذا الكتاب:

تكمن أهمية الكتاب في أنه شرح ابتعد فيه صاحبه عن المماحكات اللفظية والقضايا المنطقية الجدلية التي تخرج بالنحو عن الغاية التي وضع من أجلها ، وعَرَضَ مادته العلمية بطريقة سهلة ميسرة ، راعى فيها التيسير على المتعلمين .

ونظرًا لأهمية الكتاب ، وقيمته العلمية كثرت شروحه ، والحواشي عليه وشرحت أبياته شروحًا متعددة ، كما سنوضح ذلك عما قريب -إن شاء الله تعالى .

وعن هذا الكتاب قال إسماعيل بن علي الذي شرح أبيات شواهده ، وسماه : «كشف الوافية في شرح الكافية» : «وكان كتاب الوافية ، للسيد العلامة ، قدوة العلماء والمتبحّرين ، زُبدَة المتقدمين والمتأخرين ، ركن الملة والدين - أسكنه الله تعالى بحابح جِنَانه - دستورًا في هذا الفن ؛ إذ به يعرف أكثر مسائله ، ومشهورًا ؛ إذ كل واحد يستضيء بنور معالمه، مع ما للطلبة من الحرص عليه وقراءاته والشغف بدراسته»[1] .

- مخطوطات الكتاب:

لكتاب المتوسط نسخ خطيّة كثيرة منتشرة في مكتبات العالم ، وهاك حصرًا شاملاً لها ولأماكن وجودها :

---

1 - مقدمة كشف الوافية في شرح الكافية .

أ) في المكتبة الأزهرية:

يوجد في المكتبة الأزهرية سبع نسخ خطية لكتاب الوافية، وبيانها كما يلي:

- النسخة الأولى: نسخة في مجلد واحد بقلم معتاد، كتبها أحمد بن محمد بن عبد الله سنة ١٠٨٨هـ، بأولها نقص، وهي بعنوان: ((الوافية في شرح الكافية)). وتقع في ١٣٧ ورقة بالورقة صفحتان. ومسطرتها ١٩ سطرًا. وحجمها ٢١سم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم (٣٧) ٢٤٣.

- النسخة الثانية: نسخة في مجلد واحد بقلم معتاد، قديم، كتبت سنة ٨٩٠هـ. ولم يعرف كاتبها، بأولها نقص، وبها أوراق بخط مغاير، وبها آثار رطوبة. وتقع في {١٩٠} ورقة، بالورقة صفحتان. مسطرتها {١٧} سطرًا، في ٢٠سم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٢١٠} ١٣٤٦.

- النسخة الثالثة: نسخة في مجلد واحد بقلم معتاد، لم يعرف الكتاب ولا السنة التي كتبت فيها بأولها نقص، في {٩١} ورقة، وبالورقة صفحتان وبالصفحة {٢١} سطرًا، ١٨سم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٢٠٢} ١٢٨٣.

- النسخة الرابعة: نسخة في مجلد واحد، ضمن مجموعة. كتبت بقلم معتاد سنة ٩٨٦هـ كتبها عبد الله بن علي بن علي الخراشي، المعروف بابن صباح، بهامشها وبين سطورها حواش

ومسطرتها (٢٥) سطرًا ، ٢٢سم . وهي في المجموعة من ورقة (١) إلى ورقة (١٢١) .

وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٣٦٤} ٢٤٨٢ .

-الخامسة: نسخة في مجلد واحد أيضًا ، كتبت بقلم معتاد ، كتبها على المشرقي العلواني وذلك سنة ٩٧٤هـ . بها آثار رطوبة وتقع في {١٧٤} ورقة ، بالورقة صفحتان بالصفحة {١٧} سطرًا ، ٢١سم . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٨٤٣} ٦٠٥٠ .

-السادسة: نسخة في مجلد واحد ، كتبت بقلم فارسي ، وتقع في {١٤١} ورقة ، بالورقة صفحتان ، وبالصفحة ٢١ سطرًا ، ٢١سم . ولم يعلم الناسخ ولا تاريخ النسخ . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٧٤٩} ٢٠٠٢٧ .

-السابعة: نسخة في مجلد واحد ، كتبت بقلم معتاد ، بخط علي بن محمد ، سنة ١١١٤هـ ، وبهامش بعض أوراقها حواش ، تقع في {١٢٧} ورقة . وبالورقة صفحتان ، بالصفحة {١٩} سطرًا ، ٢٠سم . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٢٣٠٠} رافعي / ٢٧٢٠٥ .

ب) في المكتبة المركزية بجامعة القاهرة:

يوجد منه أربع عشرة نسخة خطية ، بيانها كالتالي :

- الأولى: تحت عنوان : "الوافية في شرح الكافية ، لأبي عمرو عثمان ابن عمر ابن أبي بكر ، المعروف بابن الحاجب" وهي مكتوبة بقلم نسخ في مجلد واحد وتقع في {٥٤٨} صفحة ، بالصفحة {١١} سطرًا وبها حواش وتعليقات

ولم يعلم الناسخ ولا تاريخ النسخ . وأولها قوله : ((وبه نستعين وعليه التكلان)) . وهي محفوظة بمكتبة الجامعة تحت رقم {١٦٣٠٩}

- الثانية: توجد ضمن مجموعة كتبت بقلم معتاد في {١٦٥} ورقة ، بالورقة صفحتان ، بالصفحة {١٥} سطرًا ، وأولها قوله: ((أحمد الله على عظمة جلاله)) . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٢١٢٣٤} . ولم يعلم الناسخ ولا تاريخ النسخ .
- الثالثة: نسخة في مجلد واحد ، كتبت بقلم فارسي معتاد ، في {٥٦٩} صفحة بالصفحة {١١} سطرًا . أولها: أحمد الله على عظمة قدره . كتبت سنة ١٠٦٢هـ ، ولم يعلم الناسخ . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٥٨٦٠} .
- الرابعة: نسخة في مجلد واحد ، كتبت بقلم ، سنة ١٠٢٣هـ . وتقع في {٤٦٨} صفحة ، ولم يعلم الناسخ . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦١٣١} .
- الخامسة: نسخة في مجلد واحد ، كتبت بقلم معتاد ، سنة ١٩٣٢م ، وتقع في {٤١٨} صفحة . ولم يعلم الناسخ . وهي محفوظة بالمكتبة برقم {١٦١٦٩} .

- السادسة: نسخة كتبت بقلم نسخي، سنة ١٠٤٤هـ، تقع في {٣٨٤} صفحة بالصفحة {٢١} سطرًا في ٩×١٤سم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦١٧٠}.
- السابعة: نسخة كتبت بقلم نسخي، في {١٣٠} صفحة، في مجلد واحد بآخرها نقص ولم يعلم الناسخ، ولا تاريخ النسخ. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦١٧٢}.
- الثامنة: نسخة في مجلد واحد، كتبت بقلم معتاد، سنة ٨٤٨هـ، في {٤٠٢} صفحة، بالصفحة {١٣} سطرًا، بأولها خرم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦٢٠٥}.
- التاسعة: نسخة في مجلد، مكتوبة بخطوط مختلفة، لم يعلم الناسخ، ولا السنة التي كتبت فيها، وتقع في {٤٦٨} صفحة. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦٢٥٧}.
- العاشرة: نسخة في مجلد واحد، كتبت سنة ١٠٣٧هـ، تقع في {٣٣١} صفحة والناسخ غير معروف. وهي محفوظة تحت رقم {١٦٢٥٨}.

- الحادية عشرة: نسخة قديمة مكتوبة بأقلام مختلفة . ناقصة من أولها وآخرها . وأول ما فيها «المفرد ؛ فاللفظ ما يتلفظ به الإنسان . . . » وصفحاتها {٣٢٦} صفحة، محفوظة تحت رقم {١٦٢٥٩} .
- الثانية عشرة: نسخة في مجلد واحد ، كتبت بقلم معتاد ، سنة ٨٨٧هـ ، في {٣٧٢} صفحة بالصفحة {١٥} سطرًا ، في ٨×١٢سم . وهي محفوظة تحت رقم {١٦٢٦١} .
- الثالثة عشر: نسخة في مجلد واحد ، مكتوبة بأقلام مختلفة أغلبها بالقلم الفارسي والناسخ غير معروف ، وكذلك السنة التي كتبت فيها ، تقع في {٥٦٥} صفحة ، وهي محفوظة تحت رقم {١٦٢٩٠} .
- الرابعة عشرة: نسخة في مجلد ، كتبت بقلم شبيه بالرقعة ، سنة ١٠٠٤هـ ، وفي {٤٠٤} صفحة بالصفحة {٢١} سطرًا . وهي محفوظة تحت رقم {١٦٣٦٣} .

جـ - وفي دار الكتب القومية بالقاهرة يوجد منه عشر نسخ خطية محفوظة بالدار ، أرقامها : ٣٧٥/نحو ، ٣٨٩/نحو ، ١١٦٢/نحو ، ١١٩٤/نحو ، ١١٩٥/نحو ، ١٢٢٧/نحو ، ١٥٦٦/نحو ، ١٦٧٢/نحو ، ١٦٨٢/نحو ، ١٧٠٥/نحو . وعدد الأوراق : ٢٥٤ق ، ١٢٠ق ، ١٨١ق ، ٢٢٨ق ، ١٤٨ق ، ٩٧ق ، ١٢٤ق ، ٢٠٢ق ، ١٤٠ق ، ١٧٩ق .

د – وفي الخزانة التيمورية بدار الكتب القومية بالقاهرة ثلاث نسخ أرقامها : ١٠٠ نحو تيمور ، ١٣٩ / نحو ، ٦٢٩ نحو تيمور . وعدد الأوراق : ٣١٧ص ، ٣٩٠ص ، ٣٥٧ص .

هـ – ومنه نسخة محفوظة بالمدرسة الإسلامية بالموصل (بالجامع الكبير) برقم {٩٨٤١} .

و – ومنه نسخة محفوظة بالمدرسة الأحمدية بالموصل، تحت رقم {١٠٤١} .

ز – وفي جامع المحمودين بالموصل نسخة محفوظة تحت رقم {١٠٦٦} .

ح – نسخة محفوظة بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان خطت بقلم السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الأزديّ، مكتوبة بخط جيد الوضوح، إلا أن بها بعض التآكل والأخطاء في النسخ .

ط – يضاف إلى ما سبق نسخٌ أخرى ذكرها بروكلمان في كتابه[1] ، وأشار إلى أماكن وجودها ، وهاك بيانها :

- نسخة في برلين ، وأشار إلى رقم {٦٥٦٥ ، ٦٥٦٦ : ٥٢١ – ١٧٩}
- أخرى في ليدن ، وأشار إلى الرقم {١٨٥} .
- ثالثة في مكتبة جمعية المستشرقين الألمان ، وأشار إلى رقم {٧٠} .
- رابعة في جاريت ، وأشار إلى {٣٦١ – ٣٦٥} .

1- ٥/٣١٣ .

- خامسة في طهران سه سالار ، وأشار إلى { ٢/٣٦٣ – ٣٦٦ } .
- سادسة في قوله ، وأشار إلى { ١٣٠ – ١٣١ } .
- سابعة في باتنه ، وأشار إلى ١/١٧٥ ، رقم { ١٦١٩ } .
- ثامنة في ليبزج ، تحت رقم { ٤٢٦ } .
- تاسعة في توبنجن ، تحت رقم { ٦٤ } .
- عاشرة في هايد لبرج ، تحت رقم { ٢١٦ ، ٧١ } .
- وأشار إلى وجود نسخة في بريل أول ، وأشار إلى { ١٤٣ – ١٤٤ } .
- وأخرى في بريل ثان ، وأشار إلى { ٣٢٣ – ٣٢٤ } .
- وأخرى في بولون ، وأشار إلى الرقم { ٢٩٢ – ٢٩٨ } .
- وأخرى في الأمبروزيانا [vB] .
- وأخرى في الفاتيكان ثالث { ٣٤٨ } ، قم { ٢ ، ٢٦٤ ، ٢/٨٣٨ – ٨٣٩ } .
- وأخرى في المتحف البريطاني ثالث برقم { ٧٤٦ or ٧٧٣٠ } .
- وأخرى في المتحف البريطاني ثالث برقم { ٤٩ } .
- وأخرى في مانشستر ، برقم { ٧١١ – ٧١٢ } .
- وأخرى في برنستون ، وأشار إلى { ٥٦ – ٥٧ } .
- وأخرى في بطرسبرج رابع ، وأشار إلى { ٩٣٩ } .

- وأخرى بطرسبورج ثالث، وأشار إلى {٨١١ – ٨١٢} .
- وأخرى في سليم أغا، وأشار إلى {١١٥٢} .
- وأخرى في الظاهرية بدمشق، وأشار إلى {٧٦/٧٢ – ٧٤} .
- وأخرى في مشهد، وأشار إلى {١٢/٢١} ، رقم {٧٤ – ٧٧} .
- وأخرى في بوهار، وأشار إلى رقم {٣٨٠} .
- وأخرى في رامبور، وأشار إلى رقم ١/٥٤٥] ، رقم {١٦٣٤} .
- وأخرى إلى باتا فياثان، وأشار إلى رقم {٧٦٣} .
- بالإضافة إلى أربع نسخ خطية في الموصل، بأرقام: ١١٩، ٢٩٤، ٣٤٥، ٣٤٩ .

- طباعته:

طبع كتاب الوافية في لكنو سنة ١٨٦٤م[1] وطبع أيضًا في سلطنة عمان، عن وزارة التراث القومي والثقافة، بتحقيق عبد الحفيظ شلبي، ونشرته أيضًا وزارة التراث القومي والثقافة بالسلطنة، في حين أن نسخ هذا الكتاب أربت على السبعين، وفي هذه الطبعة إشكالات كثيرة مردُّها الاعتماد على نسخة واحدة رديئة، وعمل المحقق لا يكاد يذكر؛ إذ إنه اكتفى بنسخ المخطوطة وإضافة صفحة ونصف كمقدمة للطبعة، دون أن يعلق تعليقًا واحدًا على امتداد

---

1 - ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥ / ٣١٣ .

صفحات الكتاب ودون تخريج لشاهد نحويّ فيه ، يضاف إلى ذلك أنه لم يضع فهرسًا لموضوعات الكتاب ، أو أي فهرس آخر .

وحُقّقَ الكتاب أكثر من تحقيق ؛ فقد حققه في مصر الباحثُ خالد فائق أحمد محمود ونال به درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر في عام ١٩٧٧م – ١٣٩٧هـ ، وحُقّقَ في العراق : وحقّقه الباحث محمد علي هادي الحسيني ونال به درجة الماجستير من جامعة بغداد سنة ١٩٧٢م[1] .

وحُقّقَ في سوريا ، وقامت بتحقيقه الباحثة نِيفَتْ خَضُّور ، ونالت به درجة الماجستير في كلية الآداب – جامعة دمشق – سجلت في ١٨ / ٣ / ١٩٨٠م[2] .

****

- الشروح والحواشي على الكتاب

أولاً : الشروح :

١ . شرح لإسماعيل بن محمد ، على أبيات الوافية ، وسمّاه : ((كشف الوافية في شرح الكافية)) . وقال في مقدمته – بعد الديباجة – :

((وكان كتاب الوافية للسيد العلامة ، قدوة العلماء والمتبحرين ، زبدة

---

1 ينظر فهرس المطبوعات العراقية : ٢ / ٢٣ .

2 ملف الدراسات العليا في جامعة الجمهورية العربية السورية : ١٣٦ .

المتقدمين والمتأخرين ، ركن الملة والدين –أسكنه الله تعالى بحابيح جنانه– دستورًا في هذا الفن ؛ إذ به يعرف أكثر مسائله ، ومشهورًا ، إذ كلُّ واحد يستضيء بنور معالمه ، مع ما للطلبة من الحرص عليه وقراءته والشغف بدراسته)) [1] .

٢ . شرح لأبي سعيد بن أحمد الزواوي ، ذكره بروكلمان وأشار إلى وجود نسخ خطية له في : جوتا {٢٥٦} ، وأويسالا ٢/٦٠ ، رقم {٢} [2] .

٣ . شرح السيد الشريف الجرجاني [3] : (ت ٨١٦هـ) ، وقد مات دون أن يكمله فأكمله ابنه محمد . ذكر ذلك العاملي في أعيان الشيعة [4] .

٤ . عون الوافية : وهو شرح لشواهد كتاب الوافية ، ألفه كمال بن عبد الرحمن بن إسحاق [5] .

---

1 – وهذا الشرح قد اطلعنا عليه في المكتبة الأزهرية مخطوطًا . وقد ذكره العاملي في أعيان الشيعة : ٢٣ / ١٤٥ .

2 – ينظر تاريخ الأدب العربي : ٢٣ / ١٤٥ .

3 – وقد اطلعت على نسخة خطية له ، محفوظة في مكتبة البلدية بالأسكندرية تحت رقم (١٣) نحو ، وعاودت قراءتها أكثر من مرة . هذا وقد أشار بروكلمان إلى وجود نسخ أخرى لهذا الشرح في : الأسكوريال ثان (٨١ رقم ١ ، ١٥٤) ، وبنكيور : ٢٠ / ٢٠٥٠ ، وباتنه (١ / ١٦٥ رقم ١٥٤٩) ، والفاتيكان ثالث (٣٥٣ رقم ١) وطبع الكتاب في دِهْلِي عام ١٢٨٥هـ .

4 – ينظر ٢٣ / ٧٠ .

5 – وقد اطلعت على نسخة خطية له ، محفوظة بمكتبة البلدية بالأسكندرية تحت رقم (٢٦) نحو ، خُطَّت سنة ٩٢٦هـ

٥. كشف الوافية في شرح الكافية: وهو شرح لمحمد بن عمر الحلبي، من علماء القرن التاسع (ت ٨٦٠هـ) أولها: ((لك الحمد يا من صرف قلوبنا نحو المعاني والبيان . . .)) فرغ من تأليفها سنة ٨٢٣هـ)[1].

٦. شرح لمحمد بن محمد القرمي: ذكره بروكلمان في كتابه[2].

٧. شرح لأبيات الكتاب – مجهول المؤلف. ومنه نسخة خطية اطلعت عليها في دار الكتب المصرية، عنوانها: ((شرح أبيات المتوسط)) تقع في {٥٢} ورقة، محفوظة برقم {١٩١٣} نحو.

---

1 – ومنه نسختان خطيّتان بالمكتبة الأزهرية:

الأولى كتبت بقلم فارسي سنة ٩٥٥ هـ بخط محمد بن داود بن يوسف، وبهامش بعض أوراقها حواش، تقع في (١٨٨) ورقه، بالورقة صفحتان، بالسطر (١٥) سطرًا، وهي محفوظة تحت رقم (٩٧٣/ ٧٦١٥).

والثانية: كتبت بقلم فارسي أيضًا سنة ٨٧١ هـ، كتبها علي بن محمد، وبها آثار رطوبة وأكل أرضة، تقع في (١٤٤) لوحة باللوحة صفحتان، بالصفحة (١٧) سطرًا في المتوسط، وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم (٢٢٨٩/ ٢٧١٩٤). وقد اطلعت على هاتين النسختين وعاودت قراءتهما أكثر من مرة.

وثمة نسخ أخرى أشار إليها بروكلمان في كتابه (٥/ ٣١٣) وهي: ١–نسخة في برلين (١٥٦٧)، وأخرى في باريس (٤٠٤٠) وثالثة في جاريت (٣٦٦–٣٦٧)، ورابعة في ميونخ (٧١٣) وخامسة في بولون (٢٩٩، ٣٩٦) برقم (٣)، وسادسة في برلين (١٤٥)، وسابعة في برلين ثان (٣٢٧)، وثامنة في سليم أغا (١٠٩٩) وتاسعة في الموصل (٨٢) برقم (٤٩).

2 – ٥/ ٣١٣. وأشار إلى وجود نسخة خطية له في برلين برقم {٥٢٣} ٣٤٥٣.

٨. شرح مجهول، ذكره بروكلمان[1].

٩. شرح آخر مجهول أيضًا، ذكره بروكلمان[2].

ثانيًا: الحواشي:

١. حاشية لمحمد بن عبد الله المزيني. ذكرها العاملي في أعيان الشيعة[3].

٢. حاشية لمحمد بن عز الدين بن صلاح (ت ١٠٥٠هـ)[4].

٣. حاشية لملا الأبيوردي[5].

1- ٥/٣١٣. وأشار إلى وجود نسخة خطية له في جاريت {٣٦٨-٣٦٩}.

2- المصدر السابق. وأشار إلى وجود نسخة خطية له في أوسالا: ٢/١ رقم {٣}.

3- ٢٣/٧٠.

4- ذكرها بروكلمان في كتابه (٥/٣١٣)، وأشار إلى وجود نسخة خطية له، وأحال إلى كاتلوج هاراسوفيتس ص ٤٤٤، برقم ٣٧ (٣).

5- ذكرها بروكلمان أيضًا في كتابه (٥/٣١٣). وأشار إلى أنه توجد نسخة خطية له في مشهد ١٢/٨، رقم (٢٣).

تعقيب :

تبيَّن مِمَّا سبق أن ركن الدين قد شرح الكافية ثلاثة شروح : كبير ومتوسط ، وصغير . وأن الكبير والمتوسط قد وصلا إلينا . وأما الصغير فبَعْدُ مفقود . والآن يمكن أن يقال :

- لماذا كتب ركن الدين – رحمه الله – ثلاثة شروح على كتاب الكافية ؟

- ولمن كتب هذه الشروح الثلاثة ؟ ..

وقبل أن نجيب عن هذين السؤالين نجد أمامنا سؤالاً أعمَّ منهما يفرض نفسه ويحتاج إلى الإجابة عنه ، وقد يكون متضمّنا بعضَ إجابةٍ عن السؤالين السابقين ، وهذا السؤال هو :

لمن كتب ابن الحاجب – رحمه الله – مقدمته (الكافية) ، ولماذا عاد وشرحها بنفسه ؟

وللإجابة عن السؤال الثاني الخاص بابن الحاجب نقول : إن من يعود إلى القرن السابع الهجري ، ويستعرض مؤلفات ذلك العصر يجد أن عددًا لا بأس به من المؤلفات المختلفة المواضيع قد كتبت بشكل مختصرات نثرية أو شعرية ولكنه يلاحظ أيضًا أن مؤلفي ذلك العصر قد عادوا وشرحوا مختصراتهم بأنفسهم ، وذلك كما فعل ابن الحاجب وابن مالك وغيرُهما . ويلاحظ أيضًا أن العلماء قد انكبوُا على هذه المختصرات والمتون ، وشرحوها شروحًا كثيرة .

وبعـــد دراسة العصر قد يصل الباحثُ إلى أن تلك المختصرات والمتون والمقدمات قد تكون ردًا على النزاع والقلق اللذين سادا في العالم الإسلامي يومذاك ، بسبب كثرة الفتن والقلاقل والاضطرابات الناجمة عن هجوم الصليبيين والتتار على البلدان الإسلامية ، وأيضا بسبب

صراعات المسلمين أنفسهم بين بعضهم البعض ، وكذلك منازعات خلفاء صلاح الدين بين بعضهم البعض .

فالمختصرات إذن ردٌّ على الوضع وتأقلم معه ؛ لأن صغر حجمها يسهل نقلها وحفظها واستظهارها ، ويقلّلُ من فُرَصِ ضياعها وتلفها ، بدليل أن أصحاب المختصرات أنفسهم قد عادوا وشرحوا مختصراتهم عندما شعروا بنوع من الأمان والاستقرار — وهذا ما فعله ابن الحاجب ، حيث كتب مقدمته (الكافية) في النحو فيما لا يزيد على (٢٨) صفحة ، لكنه جمع فيها ، بالرغم من صغر حجمها ، كل أبحاث النحو ومسائله وقضاياه ، وأشار فيها إلى اختلاف لهجات العرب ولغاتهم ، وإلى اختلاف العلماء في بحث القضية الواحدة ، وإلى تداخل بعض اللغات . وهذا ما فعله أيضًا في مقدمته التصريفية (الشافية) حيث كتبها فيما لا يزيد على (٤٠) صفحة ، لكنه أيضًا جمع فيها — بالرغم من صغر حجمها — كل أبحاث التصريف ، وأشار فيها أيضا إلى اختلاف لهجات العرب ولغاتهم ، وغير ذلك .

وأرى الآن أنه أصبح من اليسير معرفة الدافع وراء تعدد شروح العلامة ركن الدين على كافية ابن الحاجب ؛ فهو قد كتب شرحه الكبير أولاً ، مستعرضا فيه كل ما وصلت إليه قريحته في هذا الفن ، موظّفًا قدرته المنطقية والكلامية في خدمة قضاياه النحوية ، فخرج الكتاب عميقًا شاملاً ، يمكننا أن نقول إن صاحبه قد استطاع أن (يُمَنْطِقَ النحوَ في كتابه هذا) إن صحّ هذا التعبير .

ولكنه أيضًا وجد أنه من الضروري اختصار هذا الشرح، كي يكون في متناول الجميع، وليسهل حمله في حلّه وترحاله، نتيجة لظروف العصر الذي يعيش فيه فشرح الكافية شرحًا ثانيًا، ابتعد فيه عن المماحكات اللفظية والقضايا المنطقية الجدلية التي حشاها في شرحه الأول (البسيط)، ولعلّ هذا هو السبب وراء ذيوع وشهرة هذا الشرح الثاني (الوافية)، المعروف بين العلماء والدارسين بالمتوسط.

ثم أراد أن يشرحه شرحًا ثالثًا أكثر اختصارًا فصنف كتابه: الشرح الصغير.

ومن هنا نقول: إن الاختصار هنا أيضًا كان ردًّا على النزاع والقلق اللذين سادا العالم الإسلامي آنذاك بسبب كثرة الفتن والقلاقل والاضطرابات التي كانت سائدة، وقد يضاف إلى ذلك أنه قد يكون الدافع وراء الاختصار أيضًا دافعًا تعليميًّا، مراعيا بذلك التيسير على المتعلمين في عصره وبعد عصره.

---

(٣) شرح الشافية

وهو شرح لركن الدين على مقدمة الإمام ابن الحاجب في علم التصريف، المعروفة بالشافية[1]. وهو الكتاب الذي نقوم بتحقيقه في قسم من رسالتنا إن شاء الله. وسنفرد لهذا الكتاب حديثًا آخر في الفصل الخاص بجهد ركن الدين في الميداني الصرفي – إن شاء الله تعالى.

---

1 – وهي مقدمة تصريفية مختصرة، وهي مع اختصارها وافية جامعة لكل القضايا والمسائل الصرفية، وأشار فيها إلى اختلاف لهجات العرب ولغاتهم وقد نالت إعجاب العلماء؛ فقال عنها الجاربردي: "كتاب مع صغر حجمه ووجازة لفظه، مشتمل على فوائد شريفة وقواعد لطيفة ومحتوٍ على دقائق الأسرار العربية، ومنطوٍ على المباحث التي هي مفتاح العلوم الأدبية" (مجموعة الشافية: ١/٤).

وهي عند الحسيني، المعروف بنقره كار: "عُبَابٌ كثيرٌ عِلْمُه بالرغم من صِغَر حَجْمِه". (المصدر السابق: ٢/٢) وعند الكرمياني: "وافية من بين تصانيف الصرف في قضاء الوطر". (المصدر السابق: ٢/٢٨٠).

ونظرًا لإعجاب العلماء بها أقبلوا عليها إقبالاً عظيمًا، فشرحوها شروحًا كثيرة، ولا أجد هنا متسعًا لعرض هذه الشروح أو تفصيل القول فيها، (وللوقف على تلك الشروح، ينظر: تاريخ الأدب العربي ٥/٣٢٧ – ٣٣٢). وابن الحاجب النحوي: ٧٣ – ٧٦) وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص ٧٣، وما بعدها، وكشف الظنون، ص ١٠٢٠ – ١٠٢٢. وقد قام ابن الحاجب هو أيضًا بشرح شافيته. وهنا يمكن أن يقال – بعد أن عرفنا اهتمام العلماء بالكافية والشافية وإقبالهم عليها بالشروح والتعليقات والنظم – لماذا اهتم العلماء بكتب ابن الحاجب هذا الاهتمام العظيم؟

ويمكننا أن نقول في الإجابة عن هذا التساؤل: إن كتب العلامة ابن الحاجب – رحمه الله – مدرسة قائمة بذاتها عاش على فائدتها النحويون. وقد قال عنه الرواة إنه خالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات والزامات مُفْحِمة يعسر الجواب عنها (الشذرات: ٥/٢٣٤) وقال الإدفوي في الطالع السعيد (ص١٨٨) عن كتب ابن الحاجب: "إن الناس انتفعوا بتصانيفه، لما فيه من كثرة النقل مع صغر الحجم وتحرير اللفظ".